www.facebook.com/ZaitonMagazine - zaiton.mag@gmail.com - www.zaitonmag.com
محلية اجتماعية ثقافية نصف شهرية مستقلة السنة الرابعة | 1 آب 2011

زيتون

العدد :182

أرقام الموت على جبين الإنسانية

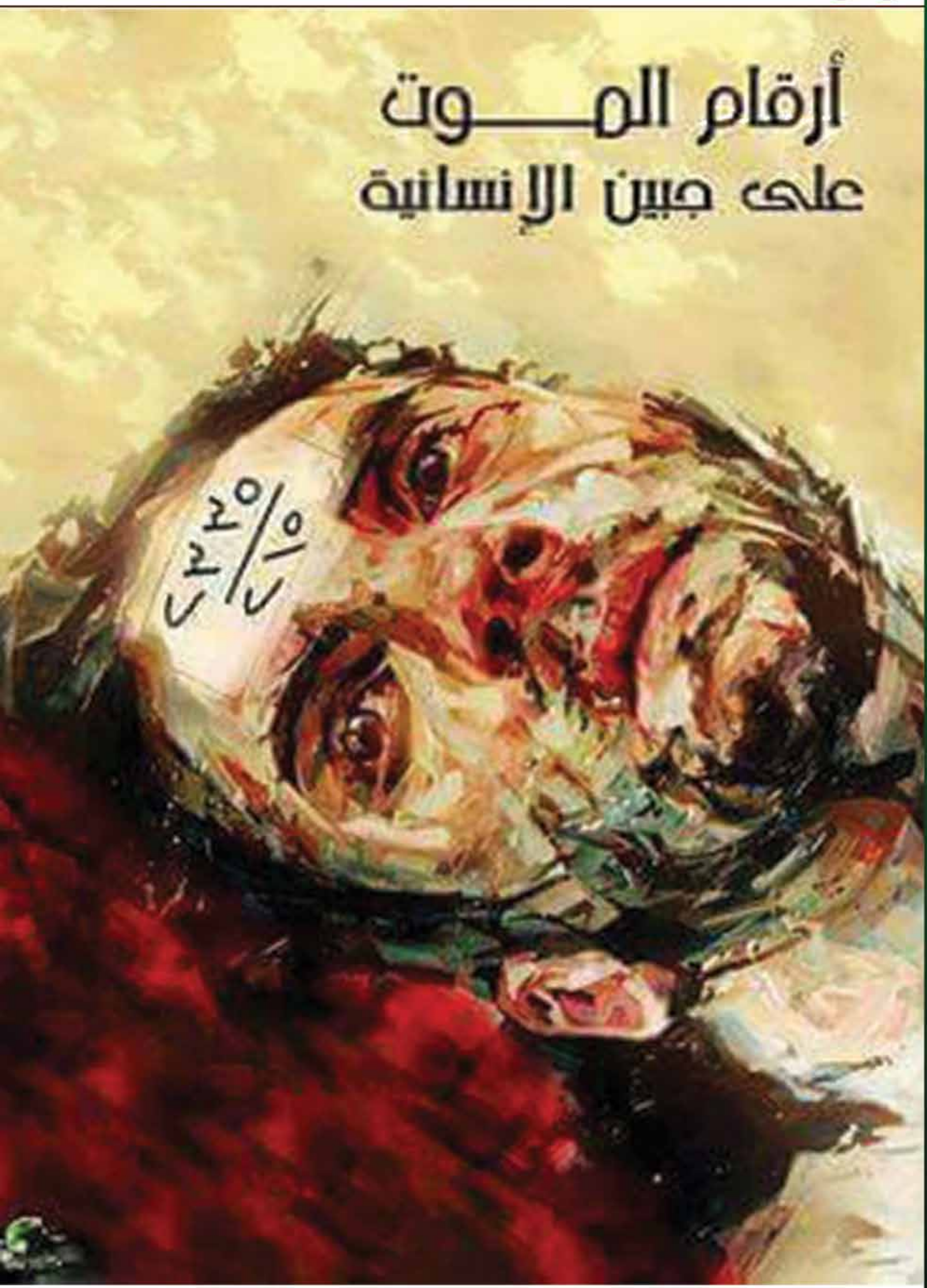

توافق تركي روسي يستبعد شبح الهجوم على إدلب

أكدت الدول الضامنة لاتفاق أستانة، اليوم الثلاثاء، في البيان الختامي للقاء العاشر الذي عقد في سوتشي، على استمرار اتفاقية خفض التصعيد في منطقة إدلب وتجديدها تلقائيًاً.

وأعلنت الخارجية التركية، عقب إجتماع سوتشي، المنعقد منذ أمس، أن منطقة خفض التصعيد في محافظة إدلب، عنصر أساسي في اتفاق أستانة، وينبغي الحفاظ على العمل به، كما شدد اللقاء على الوقوف ضد الجماعات التي تهدد وحدة الأراضي السورية، وإنهاء الأزمة السورية بشكل سياسي، ودعم الجهود المبذولة في هذا السياق.

وجاء في بيان الخارجية التركية، أن المجتمعين أكدوا على أهمية تهيئة الظروف لعودة المهجرين واللاجئين بشكل آمن و بإرادتهم، مشيرًا إلى أنه تم البدء بمناقشة خطوات يمكن اتخاذها في هذا الصدد.
وأوضح البيان أنه تم بحث الجهود المبذولة من أجل تشكيل لجنة دستورية، مع المبعوث الخاص للأمين العام للأمم المتحدة إلى سوريا "ستيفان دي ميستورا"، والاتفاق على مواصلة المباحثات المتعلقة بهذا الصدد في جنيف في أيلول المقبل.

كما أشار البيان إلى أنه تم عقد الاجتماع الرابع لمجموعة العمل الخاصة بتأمين إطلاق سراح المعتقلين والمحتجزين قسرياً في سوريا، ونوه أن مجموعة العمل أحرزت تقدما نحو تحقيق مشروع تجريبي، بالاتفاق مع الأطراف المتصارعة، للإفراج عن عدد من المعتقلين، وتقرر عقد الاجتماع القادم في تشرين الثاني.

ومن جهتها نفت روسيا عبر مبعوثها الخاص إلى سوريا، "ألكسندر لافرنتييف"، في مؤتمر صحفي عقده في ختام لقاء سوتشي العاشر للدول الضامنة، وجود أي هجوم على محافظة إدلب حاليا، داعيا المعارضة المعتدلة و الجانب التركي، للتوصل إلى حل لمسألة ما أسماها التهديدات الإرهابية في المحافظة.

وأضاف " لافرنتييف" إن هناك تهديدات كبيرة جدا في المنطقة، وأدعى أنه في الشهر الماضي تم إسقاط ٢٦ طائرة مسيرة تحمل متفجرات، وقال: "لا يمكن أن نقف مكتوفي الأيدي تجاه أي عمل ضد العسكريين الروس في قاعدة حميميم، وإن نجحت المعارضة المعتدلة باتخاذ تدابير محددة للحد من هذه الأعمال، فنحن مستعدون للمساعدة بشكل منفتح، ونعول أنهم سينجحون في ذلك".

وعن عملية المشروع التجريبي لتبادل المحتجزين بين النظام والمعارضة، قال "لافرنتييف" إن المشروع التجريبي يكمن في تبادل المعتقلين من قبل النظام والمعارضة، والأرقام بين ١٠-١٥ ولكن هذه تعتبر بداية، وقدم رئيس وفد النظام قوائم عن ١٠ آلاف سوري محتجزين لدى المعارضة، في حين تخشى المعارضة تقديم هكذا قوائم، وتقوم بطرح أعداد محددة من الأشخاص خشية تعرضهم لأي أذى، وأضاف " لافرنتييف": "آمل أن تؤدي جهودنا لردة فعل إيجابية بما في ذلك على المستوى الدولي، وندعو الجميع للمساعدة، وهو ما ننتظره من شركائنا الأتراك".
ومن جهته هاجم "بشار الجعفري" رئيس وفد النظام، تركيا ووصفها بالاحتلال، متهماً إياها بنقض تعهداتها، وكأن حكومته لم تغدر بثلاث مناطق من مناطق خفض التصعيد، وتجاهل كعادته إجرام حكومته بوقاحة، متناسيا كل جرائم الغوطة وغيرها، وعمليات التهجير القسرية التي ارتكبتها حكومته.

وقال: "إن السلطات التركية للمرة العاشرة تنقض تعهداتها التي توافق عليها في البيان الختامي، حيث أرسلت قوات عسكرية مجهزة بأسلحة ثقيلة إلى إدلب، ثم احتلت مدينة عفرين وطردت أبناءها، وهي الطرف الوحيد الذي ينتهك التزاماته بموجب البيانات الختامية لاجتماعات أستانا وينتهك القانون الدولي وميثاق الأمم المتحدة".

كما ادعى أن السلطات التركية قامت بانتهاكات تناقض القوانين الدولية، ومنها استبدال الهويات السورية في المناطق التي احتلتها بهويات تركية، وشبهها بإسرائيل عندما قامت بذلك في الجولان السوري.
وحملت نتائج اليوم وضوحا نوعا ما في عدة قضايا، أهمها واقع إدلب، الذي كثرت التحليلات السياسية تجاهه في الآونة الأخيرة، وظهرت خطوط عامة بهذا الصدد عبر تصريحات تركيا وروسيا، وغضب الجعفري المتحدث باسم النظام، لتبقى الأيام المقبلة هي الكاشفة لما سيجري، وخصوصا أن المندوب الروسي عندما نفى في حديثه الهجوم على إدلب نفى هجوما واسعا، فهل تحمل كلمة واسع خفايا خبيثة وهل تخفي شيء؟

الوجود التركي .. سلطة انتداب أم مطلب شعبي؟

"الدول الضامنة، خفض التصعيد، تخفيف التصعيد، تخفيف التوتر"، مصطلحات جديدة اقترنت بمجريات الثورة السورية منذ انطلاق مؤتمرات "الأستانة" للحوار السوري كما يُدعى، حيث تم تقسيم الأدوار بين الضامنين الثلاثة "روسيا وإيران وتركيا"، إلى جانب تقاسم المصالح والنفوذ كل حسب مصلحته.

إنها ثورة المستحيلات فيها كل شيء مختلف، فلا قانون أرضي ولا سماوي يحكمها، فترى القاتل يصبح ضامناً، والمحتل راعياً لمصالح الشعب، واللص قائداً ثورياً، كل شيء مختلف عما يجب أن يكون عليه.

بعد سيطرة الجيش التركي بالتعاون مع فصائل من الجيش الحر على عدد من المدن في الشمال أصبحت الإدارة والكلمة المطلقة في هذه المناطق للجيش التركي، ولا سيما أنها أحد الضامنين في أستانة.

وعندما بدأت تركيا بالتخطيط لكل من عمليتي "درع الفرات وغصن الزيتون" طلبت من الفصائل الراغبة بالعمل معها تسجيل أسمائها وأعدادها وإمكانياتها وأخضعتها لدورات تدريبية، وبعدها نفذت بعض ما كانت تخطط له لحماية حدودها وأمنها القومي، وأصبحت هذه الفصائل مجرد أدوات لدى الحكومة التركية فهي من تدعمهم مالياً ولوجستياً.

ومن ضمن ما تقوم به تركيا كـ "ضامن" هو ضمان ألا ترد الفصائل على مجازر واعتداءات نظام الأسد وحلفائه، وكان معظم من التحق من العناصر في صفوف هذه القوات، هم ممن يبحثون عن مصدر للمال أو السلطة أو الاثنتين معاً، مبتعدين عن أهداف الثورة ومبادئها من حماية المدنيين وإسقاط النظام وغير ذلك، مكتفين بالرضى التركي، فيما يرى من تبقى منهم أن تركيا هي الأم الحنون التي ستساعدهم في تحرير وطنهم وتقف إلى جانبهم حتى تحقيق ذلك.
لا شك أن تركيا رغم كل ذلك هي أكثر من ساعد السوريين واحتضنهم ودافع عنهم، ولكن المؤكد أيضاً أن مصلحتها كدولة لها الأولوية المطلقة فيما تبرمه وتقوم به فيما يتعلق بسورية، وليت من يتبعها يتعلم منها أن يضع مصلحة بلده وشعبه في مقدمة قراراته، ولكن المؤسف أن ما يحصل عكس ذلك، فهذه الفصائل التي تتواجد في المناطق التي تحت سلطة الأتراك ما تزال ترى في المواطنين السوريين المتواجدين تحت سيطرتها فرصة لإثبات السلطة وجمع الغنائم، ولم يسلم هذا الشعب من التجاوزات التي قاربت انتهاكات النظام، ما دفعهم لحد الاقتتال والاحتراب الداخلي الذي أوصل الثورة إلى ما وصلت إليه، ولا يوقفهم إلا قرار التركي بوقف الاقتتال كما جرى مؤخرا في الحرب ما بين هيئة تحرير الشام وجبهة تحرير سورية.

فما أن يحضر المندوب السامي التركي حتى تأخذ هذه الفصائل المسترجلة على بعضها وعلى شعبها وضع المزهرية، متسابقة إلى إطاعة الأوامر، ما دفع الأهالي إلى التطلع للوجود التركي.

لا يخفى على الأتراك حجم التجاوزات والانتهاكات التي تقوم بها الفصائل المنضوية تحت سلطتها، سواء تجاه الأهالي أو تجاه بعضها البعض، لكنها تتدخل فقط عند تفاقم الأمر فتقوم بحل الأمر دون اتخاذ أي إجراء يحول دون تكرار الأمر مرة أخرى، ليبقى وجودها كوصي يمتلك قدرة الحل والعقد ضرورة مُلحة لدى الكثيرين الذين يفضلون أن يعيشوا بأمان واستقرار على أي شيء آخر حتى لو على حساب استقلالهم، وهكذا تحافظ تركيا على وجودها بشكل "شرعي" وبمطلب "شعبي".

وفي ظل تقدم قوات النظام باتجاه المحافظة، والتهديدات التي أطلقها النظام والروس، ولا سيما بعد سيطرته على أكثر من ٩٠ بالمئة من محافظتي درعا والقنيطرة جنوباً، وبقاء إدلب المنطقة الوحيدة المحررة في سوريا، ووجود الملايين من السكان والمهجرين على أراضيها، دفع الأهالي لتعليق آمالهم على تركيا لمنع النظام وروسيا من الهجوم على إدلب وريف حلب، بحكم أنها ضامن، وبحكم سعيها لضمان أمنها القومي والداخلي، كما دفع الأهالي للقبول بوجودها حتى ولو كسلطة انتداب على سيطرة النظام على المنطقة ووصوله إليهم.

كما يستند الأهالي والناشطين في تعويلهم على الجانب التركي على ما انتشر من تسريبات حول الورقة البيضاء التي تقدمت بها تركيا لروسيا، والتي تتضمن نزع السلاح الثقيل وتشكيل جيش وطني يضم كافة الفصائل العسكرية في الشمال، وفتح أوتوستراد "حلب- دمشق"، وذلك في محاولةٍ منها لتبديد أية ذريعة لتقدم النظام وروسيا باتجاه إدلب، بحسب "الشرق الأوسط".

«أبو اليقظان المصري» و«المحيسني السعودي» يحرران الفوعة وكفريا

في صورة تعكس الواقع المشوه التي وصل إليها الوضع في محافظة إدلب، تناقلت وسائل التواصل الاجتماعي مقطعين مصورين لقياديين في هيئة تحرير الشام، وجهها فيهما خطابين حاديين يحملان مفردات تؤجج الحقد الطائفي ومشاعر الانتقام والكراهية.

ففي حالة مشابهة لما قام به شبيحة النظام اتجاه مهجري مناطق ريف دمشق والغوطة ومؤخراً درعا والقنيطرة، من الإذلال والتنمر على المقاتلين والمدنيين في حافلات النقل قبل خروجها من مناطق سيطرة النظام، قام الشرعي في هيئة تحرير الشام أبو اليقظان المصري والشهير بفتواه «اضرب بالرأس» في إباحة قتل عناصر حركة أحرار الشام الإسلامية، بتوجيه خطبة على أبواب إحدى الحافلات التي تقل مقاتلين ونساء وأطفال من أهالي بلدتي كفريا والفوعة، يشمت بهم ويتفاخر بخروجهم أذلاء وصاغرين.

كما ظهر القيادي السابق في هيئة تحرير الشام «عبد الله المحيسني» وهو يعتلي منبر في أحد مساجد الفوعة، مكررا ذات خطاب أبو اليقظان المصري من تأجيج الصراع الطائفي ما بين السنة والشيعة. ولم ينسى القياديان أن يشيرا بما وصفوه بالنصر إلى المهاجرين، في إشارة إلى المقاتلين الأجانب في هيئة تحرير الشام.

وقال المحيسني في كلمته: «شباب السنة وأسود السنة في أرض الشام من المهاجرين والأنصار، يزفون لكم البشرى، إن هذه الحسينية التي سمعت حجارتها لعن أبو بكر وعمر سنين طويلة، يترضى فيها اليوم عن أبو بكر وعمر رضى الله عنهما وعائشة». مضيفاً: «ما كان لنا أن نعتلي هذا المنبر لولا شباب صادقون مجاهدون في سبيل الله، في أربع سنين يقتحمون مرة تلو الأخرى، فسجل يا تاريخ، واكتب يا قلم، واشهدوا يا امة الإسلام، واحفظوا أيها الأجيال».

من جانبهم تظاهر أهالي المعتقلين في مدينة إدلب في اليوم التالي على تطبيق الاتفاق، منددين بإطلاق سراح معتقلين لم يمض على اعتقالهم سوى فترات قصيرة، فيما بقي المعتقلين ممن لهم أكثر من سبع سنين في سجون النظام، في حين كانت هيئة تحرير الشام قد وعدت بخروج عدد من معتقلي ٢٠١١ و٢٠١٢.

ورجح مراقبون أن ما قامت به ميليشيات إيرانية تابعة للحرس الثوري الإيراني وحزب الله اللبناني صباح اليوم، باحتجاز قوافل المهجرين من ريفي القنيطرة ودرعا المتوجهة إلى الشمال السوري بالقرب من متحلق حمص منذ الساعة السابعة والنصف، ناتج عن رد فعل عما قاله كل من أبو اليقظان المصري وعبد الله المحيسني، علماً أن القوافل تقل ٢٥٩٢ شخص من أهالي القنيطرة ودرعا بينهم ١١٢٩ طفل و٨٧٤ امرأة، بحسب منسقي الاستجابة.

ولاقى المقطعين المصورين سخرية وتنديدا واستنكارا كبيرا من رواد التواصل الاجتماعي، وذلك لما تضمناه من تجاهل لمناطق كثيرة تم تهجير أهلها من قبل النظام، توجهوا في معظمهم إلى محافظة إدلب.

ونشر الكاتب حسام جزماتي على صفحته الشخصية قائلاً: « يتباهى هذا الحاقد أمام الباصات وفي داخلها وكأن عشرات الألوف من إخواننا لم يضطروا إلى موقف مشابه ويخرجوا من ديارهم قسراً، وكأن فصيله لم يركب الباصات، وكأنه هو نفسه لم يخرج بها من حلب الشرقية! وفي حين ضبط الروس عدوانية عناصر النظام، غالباً، وتُركت الزعرنة لبعض أبناء القرى في الطريق فقذفوها بالحجارة وتلقوها بالإشارات الجنسية؛ فإن «أزعرنا» محميٌ بفصيل طويل عريض يصدّره وأخذ بفتواه الشهيرة في «ضرب الرأس» عند قتال أحرار الشام».

فيما علق محمد مسعود قائلاً: « الحق ليس على هذا المجرم.. مندوب السيسي في سورية.. الحق على أقرب سوري إليه، لا يكنسه من لحيته الحقيرة، الذي لازال ينفث سمومه الاستخباراتية بأريحية ودون رادع.. أما من سوري شريف يمتعنا بخبر هلاك هذا الضابط السافل!».

فيما قارن محمد حمام: «سلوك قذر من فصيل متطرف يفوقه قذارة وبشاعة ما فعله عناصر النظام وحزب الله ولواء القدس في الباصات التي رحلت أهل حلب الشرقية أنزلوهم وضربوهم نساء وأطفال ومرضى وعجز وجعلوهم يرجعون حفايا خائفين مذعورين تحت الرصاص، فقط للذكرى والتاريخ والمقارنة».

أبو غدير الدمشقي نشر متهكما: «ألا تستحي من كلامك هذا؟ وهل أنت من أخرجهم وأين الذلة بالموضوع، كلامك هذا هو إهانة لكل شخص ركب الباص الأخضر من شعب الغوطة وحلب والقلمون».

من جانبه قال طارق دغيم: «طالما أبو اليقظان المصري يتحدث باسمنا إلى اليوم ويعيش بيننا ويسمي الهزيمة نصرا فنحن لم نتحرر بعد».

الناشط أيمن حميدو سخر من التنظيمات المتطرفة مطالبا إياها بمحاسبة «المصري» على ما تلفظ به: «أطالب من يدعي تطبيق شرع الله في الأرض أصحاب الدين في جبهة النصرة وحراس الدين وجند الأقصى وداعش، أن يقيموا حد (الكفر) على هذا الكافر أبو اليقظان المصري عندما قال (اسمع يا دهر حط وشك بالطين) وفي الحديث القدسي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (قال الله عز وجل: يؤذيني ابن آدم يسب الدهر، وأنا الدهر بيدي الأمر، أقلب الليل والنهار)

يذكر أن اتفاقا تم بين هيئة تحرير الشام والجانب الإيراني على خروج أهالي البلدتين والبالغ عددهم ٦٩٠٠ شخص، ونفذ الاتفاق في ١٨ تموز الحالي، فيما تبعه اتفاق أخر قضى بخروج أهالي مديني القنيطرة ودرعا في الجنوب السوري باتجاه محافظة إدلب.

نعمة أم نقمة؟.. تهجير ميليشيات كفريا والفوعة

توصلت الفصائل المُحاصرة لبلدتي كفريا والفوعة قبل أيام إلى اتفاق مع الإيرانيين، أفضى إلى إخراج الميليشيات المتواجدة في البلدتين إلى مناطق سيطرة نظام الأسد.

وبعد تطبيق الاتفاق، تعالت الأصوات وكثرت التعليقات والتكهنات حول سبب رغبة النظام وحلفائه بإخراج الميليشيات من البلدتين، بين متفائل بإخراجهم وآخر متشائم، ولكلٍ من الفريقين أسبابه ومبرراته.

ويأتي ذلك بعد أن أنهى نظام الأسد وحلفائه سيطرتهم على مواقع المعارضة في الجنوب السوري وبالتالي أصبحت مناطق الشمال المعقل الرئيسي والوحيد للمعارضة، فقد بدأ النظام والدول المساندة له منذ عام ٢٠١٥، بتهجير العديد من المناطق بشكل كلي كالزبداني وداريا، أو جزئي كالغوطة الشرقية والقلمون ودرعا وغيرها.

بينما كان تهجير أهالي كفريا والفوعة مع الميليشيات المتواجدة فيهما الحدث الأول من نوعه بالنسبة لفصائل المعارضة، إذ لم تمارس الفصائل أي ضغوطات أو تفرض على أهالي أي منطقة للخروج منها بالإكراه، وحتى في حالة الفوعة وكفريا لم يكن خروج سكانهما، برغبة من الفصائل أو بطلب منها، ولم تكن هي من فرضت عليهم الخروج، وإنما النظام وحلفائه، بالإضافة إلى أن العدد الأكبر من سكان البلدتين كان من المقاتلين المنضوين ضمن الميليشيات المساندة للنظام، مع عائلاتهم وعدد قليل من المدنيين، ومن هنا لا يمكن القول بأن فصائل المعارضة قد ساهمت بعمليات التهجير القسري كنظام الأسد وحلفائه.

"نور الدين عواد" من سكان ريف إدلب قال لزيتون إنه تفاجأ كيف تمت عملية التهجير بين ليلة وضحاها دون مقدمات، وكأن الأمر مخطط له من قبل ولكن على مستوى دولي، فحتى أهالي البلدتين عبروا على صفحاتهم الشخصية والإعلامية عن استغرابهم، وبقي بعضهم حتى وقت متأخر ينفي صحة الأخبار، مما يدل على تفاهمات حصلت على بقاء إدلب بيد المعارضة، على حدّ تعبيره، مضيفاً:

"بالنظر إلى التصريحات التركية وتحذيرها لنظام الأسد من القيام بعمل عسكري على هذه المناطق، وتعزيزها لنقاط المراقبة المنتشرة في المحافظة، وربطها بإخراج الميليشيات من كفريا والفوعة، نعلم أن الأمر بات شبه محتوم ببقاء هذه المناطق تحت سلطة المعارضة بوصاية الحكومة التركية إلى حين التوصل لحل سياسي شامل للقضية السورية، ولو كان هناك نية لهجوم على إدلب لكان نظام الأسد اتخذهم ذريعة وأبقاهم في بلداتهم، وجاء لتحريرهم كما وعدهم هو وحزب الله وقائده".

أما الناشط "عمر الحاج" فكان رأيه مختلفاً كلياً، إذ قال لزيتون: "إن إخراج البلدتين المحاصرتين من قبل فصائل المعارضة يسقط ورقة الضغط التي كانت بأيديها في حال فكر نظام الأسد وحلفائه بمهاجمة الثوار، وبالتالي فإن المؤشرات تدل على أن هناك معركة قادمة ومجازر سترتكب، وعلى الجميع الاستعداد لها بعيداً عن التحليلات الجوفاء، فالتجارب التي مررنا بها سابقاً خير مثال على ما هو قادم"، مضيفاً:

"أما بالنسبة للتصريحات التركية فهي عبارة عن إبر تخدير لا أكثر، وأكبر دليل هو تصريحاتها السابقة وخطوطها الحمراء في حلب وحماة، وكلنا يعلم ما حصل في كلا المدينتين، واليوم ذات الخطوط والتحذيرات في إدلب، بالإضافة إلى ما حدث في الجنوب، وقد رأينا كيف تخلت أقوى دولة في العالم عن تعهداتها، وتركت الجنوب وأهله وفصائله لمصيرهم بعد أن هددت وتوعدت، وباعتهم نهاية الأمر في سوق النخاسة الدولية".

موسم ناجح لـ "المقاتي الصيفية".. تعيد الطقوس القديمة للأهالي

خاص زيتون

أن تذهب كل عصرية صيفية لأعماق الحقول، وتمضي بعض من الوقت في "المقاتي الصيفية" تلتقط خضارها الطازجة، وتنتقي مرادك من بين أنواع الخضرة، وأنت تتأمل كل أصنافها (المعلقة بين أغصان الطماطم، والمستلقية بين مديد البطيخ، والمختبئة بين أوراق القرع)، ثم تأكل العجور في ربوع الحقول، مع رائحة الخضر الصيفية العطشى، وحرارة ثمارها بين كفيك، حينها لا يقف الأمر فقط، إلا أنها تلقت هذا العام أمطاراً صيفية غزيرة انعكست على الموسم وجعلته موسماً متميزاً".

ولا تناسب الزراعة البعلية كل أصناف الخضراوات، حيث تُستبعد فيها الخضراوات التي تحتاج إلى ريٍّ مستمر كالخيار والباذنجان والبقدونس وغيرها، بينما تعتمد على الأصناف عند حدود الزراعة، ولا نكهة الخضار، بل يتعداها أكثر بكثير، لطقوس شعبية قديمة تعشقها نفوس الريفيين، الذين تمازجت هذه الجزئيات مع أرواحهم عبر طقوس الصيف منذ الصغر.

اعتاد الأهالي في المناطق الجبلية والهضبية، التي لا تتوفر فيها مساحات للزراعات المروية، على نوع زراعي قديم ألفوه مع آبائهم وأجدادهم، وهو زراعة الخضرة البعلية أو الأكثر تحملا للعطش، كالبطيخ الأصفر والبطيخ الأحمر البعلي والعجور والقرع والطماطم وعباد الشمس وغيرها.

زراعة بعلية أم طقوس شعبية تنتشر زراعة المقاتي الصيفية البعلية بكثرة في ربوع جبل الزاوية، وجبل شحشبو، وجبل حارم، إذ تتوفر في هذه المناطق مقومات نجاح الزراعة ما يسمى "المقاتي الصيفية"، ويعتمد هذا النوع من الزراعة على تخصيص بعض المساحات بين كروم الزيتون والكرز والتين، وزراعتها بالخضار الصيفية البعلية، بحيث تجتمع فيها كل أنواع الخضار الصيفية، وتعتبر هذه الزراعة يدوية بامتياز، فالمزارع يتابع النبتة بكفيه منذ بدايتها وحتى النهاية، مما ينتج ترابط بين هذه الخضار وأصحابها، الذين يزورونها كل يوم بعد العصر، أشبه بسيران طبيعي البعلية، في حين لا تتوفر فيها الزراعات المروية ومتطلباتها.

وتعد الزراعة البعلية جزء من تراث هذه المناطق الصيفي، وأحد الوجوه المرتبطة بطبيعتها صيفاً، وهي زراعة قديمة فيها، ما أعطاها طابعها الشعبي وجعلها طقساً محبباً لأهالي هذه المناطق، فهي زراعات تذكر بالآباء والأجداد، ضمن إطار العمل.

"مصطفى الصالح" أحد المزارعين في ريف إدلب تحدث لزيتون عن هذه الزراعات قائلاً: "تعتمد الخضار البعلية الصيفية بزراعتها على العامل البشري أكثر من أي أمر آخر، حيث يكون سر نجاحها بالمتابعة الكاملة لكل شتلة، وبرأيي أن سر نجاحها هو أن هذه الزراعة تمثل هواية للمزارع أكثر من كونها عمل، فمحبّ هذا النوع من الزراعات يجد متعة وطقوس عاشها أصحابها مع أهلهم منذ القدم، وتشكل بذلك أحد ضروب الذكريات الطبيعية، التي لطالما أحبها البشر.

"سعيد الطه" أحد أبناء جبل الزاوية وصاحب لإحدى حقول المقاتي، قال لزيتون: "في رؤية الاخضرار حياة، وعند تجوالي قبل المغيب بين هذه الخضار، بمتابعتها، دون النظر لقلة الأرباح المادية منها، ويكفيه أن يتعايش معها بعض الوقت، ثم يعود لمنزله، حاملاً تشكيلةً من أنواع الخضراوات، من أرضه وعمل يديه، ليشعر بطعم شهي ممزوجاً بالسعادة الغامرة والراحة النفسية برغم الجهد".

وشهد هذا الصيف عدة منخفضات ماطرة، ما أعطى هذه الزراعة نجاحاً مميزاً هذا العام، حيث تشكل الأمطار الصيفية ركيزة أساسية لنجاح تنتعش روحي، وأنسى الكثير من الهموم، وتستحضرني الكثير من ذكريات طفولتي، إذ أتذكر جدتي وسلة القش القديمة التي كانت تحملها عندما تجني الخضار من كرمنا، بينما أنا آكل الطماطم الحامضة، وهي تنتقي لي العجور الغض، هذه التفاصيل وغيرها تعشعش بروحي ومخيلتي، وتجعلني أبقى محافظاً على هذه الزراعة، بقصد الترويح عن النفس والحنين للماضي، أكثر من قصد الربح والمال".

في حين يقصدها الناس كأماكن للسيرانات في أوقات الهدوء، فتخرج مجموعات الشباب لربوعها، للشوي والتنزه وقضاء وقت ممتع فيها، كطقس ريفي اعتادوه وأطلقوا عليه اسم "مشوار المقاتي".

"حمزة حاج سليمان" تحدث عن هذا الطقس منذ فترة ما قبل الثورة وحتى اليوم، وما اعتراه من تغيرات بقوله: "مشوار المقاتي طقس جميل كنا نحبه ونرتاده، وهو على نوعين، إما سهرة لمجموعة من الأصدقاء، سهرة ليلية في الكروم ندخن "الأركيلة"، ونتبادل أشطر العتابا ونتناول المكسرات والعجور في أجواء المقاتي، وأحيانا كنا نتسلى بتصرفات غريبة كأن نصنع زجاجة للأركيلة من بطيخة القرع، لنحول كل شيء للطبيعة، وكل القصد التسلية والترفيه، وللسبب ذاته قد نستبدل السهرة بسيران شواء نهاراً".

وعما اعترى هذه الطقوس من تغيرات قال "السليمان": "كان مشوار المقاتي نشاطاً معهودا قبل الثورة، ومعظم سهراتنا الصيفية كأصدقاء كانت إليه، أما الآن فقد باتت السهرات شبه معدومة، واقتصر نشاطنا على زيارات النهار وبعض مشاوير الشباب لقضاء وقت جميل، والترويح فيه عن النفس، والعيش لبعض الوقت مع الطبيعة، وكسائر ملامح الحياة التي شوهتها الحرب، كان لمشوار المقاتي نصيباً من الجرح، لكنه يبقى طقساً أصيلاً ومرغوباً لدينا".

ما يميز هذا النوع من الخضراوات مذاقها الشهي، إذ لا تشبه طعم الخضار المروية إطلاقاً، فطعم الطماطم مثلاً يجمع الحموضة مع الحلاوة، حتى يكاد الريفي منذ أن يتذوقه يقول هذه بعلية، وليس غريباً تمييز طعمها بسائر أنواعها عن طعم مثيلاتها المروية، فهي خضار طبيعية أشبه بالبرية، فلا أسمدة ولا هرمونات، ولا أي مادة كيماوية تفسد مذاقها، مما يجعلها بالإضافة إلى طعمها المميز خضاراً صحيةً بامتياز.

تنفيسة للأرواح المتعبة، وهروباً لعالم الذكريات الجميلة، وتمازج مع نفس الطبيعة، وغوص في جزئياتها المحببة، وطعم فيه النقاء والأصالة، مقاتي الريفيين هذه، فلا زال أبناء جبال وهضاب إدلب يتمسكون بها في ربوعهم وبين حقولهم، ويتعلقون بها كجزء من تراثهم وعشقهم للصيف وطقوسه، وكما للزيتون نفس في أرواحهم، فإن لهذه المقاتي نفحات روحية لديهم أيضاً.

عش الخفاش الثمين مقصد باحثي الكنوز في إدلب

أسامة الشامي

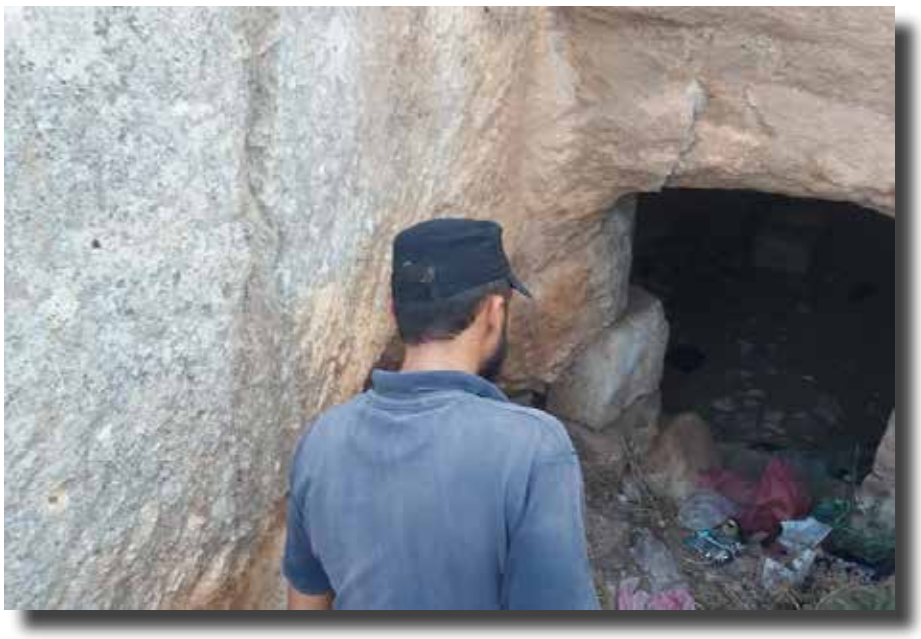

لعله من الطريف والغريب أن تذكر الكنوز مع مخلوق بشع المظهر أو مكروه، والاكثر غرابة عندما تبحث الناس عنه بشغف، وكأنهم يبحثون حلما، فهل يمكن أن يصبح الخفاش الاسود البشع طير الحظ الجميل و ترمقه العيون أكثر من نمام الحي؟!..ربما.

انتشرت في الآونة الأخيرة ظاهرة ملفتة للانتباه في إدلب، وهي البحث عن عش الخفاش، وملأت العروض غرف التواصل الاجتماعي والأسواق الإلكترونية في مدن وبلدات إدلب، تعرض أسعارا خيالية لثمن هذا العش، وصلت حتى ١٠٠ ألف دولار أمريكي، واستعداد فوري للشراء في حال توفر العش، الأمر الذي جعل الكثير من الأهالي وفي مناطق مختلفة في المحافظة إدلب يتفاعلون مع هذه العروض ويبدأون بالبحث عن الكنز المزعوم.

وبين مصدق وغير مصدق لم يتوقف هواة الكنوز والثروة دون بحث، وانطلق البعض في بحثهم مقتنعين بالفكرة ومصدقين للإغراءات والعروض التي تلقوها، فيما انطلق القسم الآخر دون قناعة تامة، ولكن إرضاءً لفضولهم بمعرفة الأسباب وراء هذه الأسعار، وأملاً في كنز لم يكن بالحسبان، وتبريراً لأنفسهم بعدم الكسل أمام احتمالٍ مهما للوصول بالغنى.

«باسل الحسين» أحد الباحثين عن عش الخفاش (الكنز المحتمل) قال لزيتون: «كان الخبر بداية الأمر مفاجئاً، لكنه انتشر بقوة، شاهدته على عدة غرف واتس أب وفيس بوك، وكلها في بلادنا، وكثر الحديث في الشارع حول الأمر، وعرض عليّ أحد الأشخاص ٥٠ ألف دولار أمريكي في حال وجدت العش، لأعلم بعدها من خلال مشاهدتي للعروض أنه سيربح ضعفي المبلغ الذي عرضه عليّ، فانطلقت للبحث عنه، حالي حال العديد من أصدقائي ومعارفي».

أماكن تواجد العش ونوعه

توجه الباحثون عن عش الخفاش بعد وقت قصير من انتشار العروض، ودون ثقافة مسبقة بحياة هذا الطير، إلا أن أهميته الجديدة النسبة لهم، جعلتهم يجمعون معلومات عن أماكن عيشه، والأماكن التي يفترض إيجاد عشه فيها.

«هشام الأحمد» أحد الباحثين عن العش أوضح لزيتون أن الخفاش يتواجد في معظم مناطق إدلب، إلا أن عشّه يتواجد حصراً في الأماكن الرطبة والمعتمة، مثل المغاور المهجورة والآبار القديمة الغير مستخدمة، فالخفاش يفضل هذه الأماكن للتكاثر والنوم نهاراً، مضيفاً:

«حالياً أنا أبحث عن عشه في هذه الأماكن، ولكنني لم أُوفّق بعد، رغم عثوري على خفاشٍ نائم في إحدى المغاور».

أما بالنسبة لنوع العش المطلوب فهناك نوع محدد من أعشاش الخفاش هو المطلوب، وله صفات معينة، وذلك بحسب ما تناقل الباحثون عنه عبر مواقع التواصل الاجتماعي، بالإضافة إلى الأحاديث الشعبية الدارجة في الشارع، والتي بيّنت أن العش المطلوب بيضوي الشكل يشبه مصباح المنزل الأصفر، مصنوع من الطين، يكون مغلقاً ومعلقاً، وكل ما عدا تلك الصفات لا يساوي شيئاً بالنسبة للباحثين عنه وللمشترين أيضاً.

ويحتوي العش كما أظهرت مواقع التواصل الاجتماعي والمقاطع التعريفية به على مادة مخزنة فيه، ما سرها ولماذا يضعها الخفاش هنا، هذا ما لم يُفهم أو يُفسر بعد حتى على صعيد العلماء، والراجح أن هذا العش لا يُستخدم للإنجاب إطلاقاً، وهذا تفسير ندرته وغلائه، فهو عش مغلق محكم يختزن مادة غريبة لغاية ما، ويرجح هذا القول الطبيب البيطري «وضاح اليوسف»، والذي قال لزيتون:

«الخفاش من فصيلة الثديّيات، ولايحتاج لعش خاص لينجب، مثله مثل كل الثديات ينتقي مكاناً مناسباً لفراخه، ويؤمن لها الظروف التي تحميها وتريحها ثم ينجب فيه».

أسرار وأبحاث علمية

ويكمن السر في غلاء العش بالمادة الموجودة فيه، وهي مادة هلامية حمراء قاتمة، وتتعدد التحليلات لأهمية هذه المادة، البعض اعتبر أنها تستخدم للسحر والشعوذة لسوء شكل الخفاش وطبيعة حياته، فيما اعتبر البعض الآخر أنها تستخدم لأغراض طبية هامة.

وكان باحثون استراليون قد أجروا مؤخراً دراسة حول الأنزيمات التي يفرزها الخفاش وقارنوها مع أحد العقاقير الطبية التي تعطى لعلاج مرضى الجلطات وهو عقار «تي بي أي»، وتوصلوا إلى أن الأنزيم الذي يفرزه الخفاش والمسمى أنزيم «ديزموتبلاس»، أكثر فاعلية بمئات المرات من العقار التجاري المنتج، بالإضافة إلى أنه أكثر أماناً إذ أنه لا يقتل خلايا المخ كما هو الحال في العقار التجاري، والذي من الممكن أن يتسبب بذلك.

وأوضح «روبرت ميد كاف» من جامعة «موناش» في ولاية «فيكتوريا» بأستراليا أن أنزيم «ديزموتبلاس» يدمر «الليفين» وهو المكون البنائي لجلطات الدم، وأن الخفاش مصاص الدماء عندما يعض ضحيته يفرز هذه المادة القوية المضادة للتجلط، حتى تستمر دماء الضحية في التدفق مما يتيح له التغذية.

ووفقاً لمصادر طبية فإن العشرات من العقاقير الطبية التي تعتمد على المضادات الطبيعية للتخثر، والتي تفرزها الحيوانات مصاصة الدماء مع لعابها كالخفاش والقراد وغيرها قيد التطوير حالياً، وأن شركة «بايون» الألمانية التي تعمل في مجال صناعة الأدوية الحيوية تعمل حالياً على تطوير أنزيم «ديزموتبلاس»، وتقترب من المراحل النهائية للتجارب على ضحايا الجلطات.

وفي الوقت الذي تتحدث فيه الأبحاث العلمية عن المادة التي يفرزها الخفاش مع لعابه أثناء سحبه لدماء فريسته، دون التطرق إلى عش الخفاش، تظهر الأهمية على مواقع التواصل الاجتماعي وأسواق البيع للعش دوناً عن الخفاش ذاته، كما تظهر بالمقابل حالات تحذير من موضوع عش الخفاش، على اعتباره خدعة وعملية نصب واحتيال لا أكثر.

ولا يتوقف الأمر على محافظة إدلب، إذ تغص مواقع التواصل الاجتماعي في عدة دول كالمغرب والأردن وكردستان وإيران وغيرها، منذ بضعة أشهر بالمنشورات والأسواق الإلكترونية التي أُنشأت لهذا الغرض، وصل ثمن العش فيها إلى مئات الملايين، وربما كان هو السبب في العدوى التي وصلت إلى المحافظة، وربما تكون قد وصلت إلى محافظات أخرى.

وبالتأكيد فإن الأبحاث الأسترالية ليست السبب وراء موجة بيع وشراء عش الخفاش، والتي لم تدل كل المواقع التي انتشرت فيها على أن هناك عمليات بيع وشراء حقيقية قد تمت بالفعل، ليبقى سر غلاء هذا العش أمراً غريباً ومثيراً، وأحجيةً للمتابعين، ولغزاً للباحثين عنه، وباب حظ للطامحين، هذا إن كانت فرصة حقيقية.

الأسد يتوعد "الخوذ البيضاء" بالتصفية على مسامع العالم أجمع.. وإدلب من أولويات قواته

ياسمين محمد

توعّد رأس النظام بشار الأسد في مقابلة مع عدة وسائل إعلامية روسية اليوم الخميس، عناصر الدفاع المدني "الخوذ البيضاء" بالتصفية في حال رفضوا المصالحة مع النظام، مؤكداً أن السيطرة على محافظة إدلب تشكل أولوية بالنسبة لقوات النظام.

وقال رأس النظام في المقابلة: "الآن هدفنا هو إدلب، لكن ليست إدلب وحدها، وهناك بالطبع أراض في شرق سوريا تسيطر عليها جماعات متنوعة"، مبيّناً أن قواته يتتجه إلى كافة هذه المناطق، وهي من ستحدّد الأولويات، والتي تعد إدلب إحداها، ولا سيما بعدما استعادت السيطرة على كامل الغوطة الشرقية ومعظم أراضي جنوب غرب البلاد، وفقاً لما نقلته وسائل الإعلام الروسية.

وتوعد رأس النظام خلال المقابلة عناصر الدفاع المدني السوري بالتصفية، في حال رفضهم المصالحة مع النظام، واصفاً إياهم بـ الإرهابيين، وأن أغلبهم توجه إلى محافظة إدلب، وقال إن حكومته تعمل حالياً على المصالحة معهم، وإن لديهم خيارين إما المصالحة وإما التصفية، حسب "آر تي" الروسية.

وتهديد الأسد بمهاجمة إدلب، ليس الأول من نوعه، إذ نقلت وسائل إعلام روسية عنه في حزيران الماضي، تهديدات بالهجوم على الشمال السوري واستعادته بدعم من روسيا في حال رفضت الفصائل هناك الخضوع لشروطه وتسليم سلاحها والدخول في تسويات ومصالحة، كما أكدت وكالة سبوتنيك الروسية في تقرير لها الثلاثاء الماضي، انتهاء الاستعدادات العسكرية واللوجستية للهجوم على ريف اللاذقية الشمالي الشرقي، والمرتفعات المطلة على جسر الشغور بريف إدلب الغربي.

يذكر أن تهديدات رأس النظام السوري اليوم، تأتي بالتزامن مع لقاء جمع الرئيسين التركي "رجب طيب أردوغان" والروسي "فلاديمير بوتين"، أكدا فيه أن العلاقات بين البلدين تتطور بنجاح في عدة مجالات، بما في ذلك تسوية الأزمة السورية، وذلك على هامش قمة "بريكس" في عاصمة جنوب إفريقيا "جوهانسبورغ".

الأرقام على جبينهم.. عداد لموت الإنسانية

ضمن سياق منظومته الأمنية انتهج النظام السوري منذ بدء الثورة السورية في آذار ٢٠١١ سياسة الاعتقال والتعذيب حتى الموت في سجونه، وذلك بهدف قمع الثورة وبث الرعب في قلوب السوريين الذين كسروا حاجز الخوف بعد أربعين عاماً من الصمت.

ومنذ بداية الثورة والتقارير الحقوقية توثق سقوط الشهداء تحت التعذيب في سجون النظام، والقرارات الصادرة عن مجلس الأمن تدين بشدة الاعتقال التعسفي للمدنيين في سوريا، ولعمليات التعذيب والتصفية الجسدية والاختفاء القسري، لتصل اليوم إلى حد إشهار النظام استشهاد الآلاف من المعتقلين في سجونه على الملأ غير آبهٍ لا بقرارات لم تتعدّ أن تكون حبراً على ورق، أو تصريحات يتغنى بها الإعلام، ولا بمطالبات بالمحاسبة والتحقيق، إذ أن النتيجة معروفة لدى الجميع.

خاص زيتون

ولم تبدأ القصة بتسريبات قيصر التي أظهرت آلاف الجثث لمعتقلين تم إعدامهم في السجون تحت التعذيب، ولا بتقارير منظمة هيومن رايتس ووتش التي قالت إن معظم المعتقلين يعانون من التعذيب وسوء المعاملة الوحشية، كما لم تتوقف بتقرير منظمة العفو الدولية حول سجن صيدنايا فقط، والذي أشار إلى «روايات مرعبة» عن التعذيب، وتحدث عن قرابة ١٣ ألف حالة إعدام بحق أشخاص كان النظام يعتقلهم داخل هذا السجن الرهيب وذلك في عام ٢٠١٦.

أما الشبكة السورية لحقوق الإنسان فقالت في تقرير صدر في تشرين الثاني عام ٢٠١٧، إن عدد المعتقلين في سوريا تجاوز ٢٢٠ ألف معتقل، لتعود وتبين في تقرير آخر في ١٣ تموز ٢٠١٨، أن حصيلة من قتلهم نظام الأسد في سجونه جراء التعذيب بلغت بحدها الأدنى منذ بداية الثورة منتصف آذار ٢٠١١ إلى حزيران ٢٠١٨ قرابة ١٣٠٦٦، مشيرةً إلى أن العدد أكبر بكثير، لكن هذا ما استطاعت الشبكة توثيقه، في حين نقل المرصد السوري لحقوق الإنسان عن مصادر داخل أجهزة النظام الأمنية، أن ما لا يقل عن ٦٠ ألف معتقل استشهدوا منذ آذار عام ٢٠١١ في معتقلات النظام السوري.

وتشير الإحصائيات الرسمية إلى ما يخفيه الواقع من أرقام، من المؤكد أنها أكبر من ذلك بكثير، وهو ما بدأت معالمه تتوضح تدريجياً مع بدء النظام بتسليم دوائر السجل المدني لقوائم بأسماء الشهداء الذين سقطوا تحت التعذيب في سجونه، لإبلاغ أسرهم وتوثيق وفاتهم رسمياً ضمن السجلات المدنية.

وبعيداً عن الأرقام والإحصائيات، فإن الشهداء الذين قضوا تحت التعذيب هم أشخاص كان لهم حياة وأسر وأحلام، تم تعذيبهم وقتلهم في ظلمة السجون بلا رحمة، ويجب المشاركة في توثيقهم وأنسنة أرقامهم وتحويلها إلى أناس.

شهادات الوفاة.. حل النظام للتخلص من ملف المعتقلين

كان بند المعتقلين حاضراً في كل اتفاقية، ولكن دون تطبيق أو التزام من قبل النظام، ودون أي محاولة من قبل الراعيين لهذه الاتفاقيات لإلزامه، وفي حال طُبقَ على نطاق ضيق كان النظام يعمد إلى المراوغة عبر اعتقال بعض المارة في الشوارع أو الحواجز بمناطق سيطرته وإطلاق سراحهم في ما يدعي هو ورُعاته أنه تطبيق لبنود الاتفاقية، بينما هو في الواقع أبعد ما يكون عن التطبيق، إذ كان الشرط المشترك في كافة الاتفاقيات أن يكون المفرج عنهم من المعتقلين القدامى وبناءاً على قوائم تقدمها الأطراف الممثلة للمعارضة، وهو ما كان النظام يرفضه مراراً، بعد رفض سابق للبند جملةً وتفصيلاً.

ربما كان رعاة هذه الاتفاقيات خلف فكرة المراوغة وطريقة التطبيق التي اتبعها النظام طيلة السنوات السابقة، علماً أن النظام لا ينقصه الخبث والإجرام.

وفي ظل الظروف الراهنة، وبعد سيطرة النظام على كافة المناطق الثائرة باستثناء المناطق المحررة في الشمال السوري، وبضعة مناطق شرق سوريا، ومع إصرار العالم أجمع على إبقاء ذلك النظام المجرم ودعمه حتى اللحظة الأخيرة، واقتراب نيتهم إعلان سوريا آمنة على حد تعبيرهم، قرر نظام الأسد ومن خلفه الأصابع الدولية المتحكمة بالشأن السوري التخلص من ذلك البند الذي أرّق الجميع.

ومع علمهم بالجرائم المرتكبة ضد المعتقلين في سجون النظام، وإثبات صحتها، كان الحل الوحيد لمبتدع الفكرة هو منح شهادات وفاة للشهداء الذين سقطوا تحت التعذيب في سجون النظام، على أنها حالات وفاة طبيعية، على الرغم من أن الكثير الكثير من هذه الأسماء موثقة منذ سنوات لدى الأمم المتحدة والعديد من المنظمات الدولية على أن أصحابها معتقلون في فترات مختلفة لدى نظام الأسد، ولكن لا يهم، فمن شاهد صور ما يقارب الـ ١١ ألف شهيداً سقطوا تحت التعذيب، سرّبها «قيصر» قبل ٥ أعوام وغضّ الجميع الطرف عنها، لن يأبه بمثلهم أو أكثر اليوم، وهو يسعى جاهداً لشرعنة بقاء الأسد ودعمه اقتصادياً وليس فقط سياسياً، ومشاركته في إعادة إعمار حتى ملاعب سورية التي استشهد المئات ممن كانوا يلعبون على أرضها في سجونه، والآلاف ممن كانوا يجلسون على مدرجاتها.

في تموز الماضي، بدأ نظام الأسد بإرسال قوائم بأسماء الشهداء الذين سقطوا تحت التعذيب في سجونه، وذلك لإبلاغ ذوي الشهداء بوفاة أبنائهم ومنحهم شهادات ووثائق تثبت وفاتهم، وبدأ الأمر بإبلاغ ٣٠٠ عائلة في حماة بوفاة أبنائها، ليمتد منها إلى عدة مدن ومحافظات، ضمن سلسلة من القوائم الأولية، من المتوقع أن تعقبها قائمة أو أكثر لكل منطقة، كما ستشمل كافة المدن والمحافظات السورية.

وأفادت مصادر حقوقية وإعلامية بأن الفروع الأمنية التابعة لنظام الأسد سلمت خلال الفترة الماضية قوائم مماثلة لقائمة حماة، لدوائر السجل المدني في عدة مدن تضمنت أعداداً مختلفة من أسماء الشهداء الذين قضوا في سجون النظام، إذ تضمنت قائمة «داريا» ١٠٠٠ اسماً، «الحسكة» ٧٥٠ اسماً، «حلب» ٥٥٠ اسماً، «دير الزور» ٥٠٠ اسماً، «حمص» ٣٠٠ اسماً، من بينهم ١٢ فلسطينيًا من مخيم العائدين بمدينة حمص، وفقاً لمجموعة «العمل من أجل فلسطينيي سوريا»، بالإضافة إلى ١٥٠ اسماً في «معضمية الشام»، ٣٠ اسماً في «يبرود»، ومثلها تقريباً في «خان شيخون»، جميعهم قضى تحت التعذيب.

وأشارت منظمات حقوقية وقانونية سورية، إلى أن جميع الحالات التي يتم فيها تسليم ذوي الشهداء شهادة وفاة من قبل دوائر السجل المدني، هي حالات استشهاد المعتقل تحت التعذيب، في حين يرجع النظام أسباب الوفاة ضمن الشهادات التي يقوم بتسليمها للأهالي إلى وفاة طبيعية أو أمراض مختلفة مثل أمراض القلب والربو والجلطات وغيرها، ودون إيراد مكان الوفاة أو سببها الحقيقي.

في حين تؤكد العديد من المصادر أنه في حالات الإعدام الميداني التي تمت بحق المعتقلين لا يتم فيها تسليم شهادة وفاة لأسرة المعتقل، وما على الأسرة فعله للتأكد من مصير ابنها المعتقل، هو استخراج ورقة «لا حكم عليه»، بالإضافة إلى احتمال أن يكون اسم ابنها في قوائم لاحقة، لذا على أهالي المعتقل مراجعة الدوائر المختصة عدة مرات.

وفي الوقت الذي قامت فيه دائرة النفوس في مدينة معضمية الشام بنشر الأسماء التي تسلمتها من أفرع النظام الأمنية ضمن أوراق مطبوعة، تم تعليقها على جدران الدائرة، مطالبةً أهالي المدينة بالتعرف على الأسماء المنشورة لتوثيق وفاتهم وتسجيلها لدى الدائرة، تجري دوائر أخرى اتصالاتها مع الأهالي لتبليغهم، في حين تعمل بعض المنظمات الحقوقية والقانونية السورية على توثيق الحالات التي حصلت على شهادة وفاة رسمية من النظام.

كما يطالب ناشطون عبر صفحاتهم الشخصية في مواقع التواصل الاجتماعي، أهالي المعتقلين بمراجعة دوائر السجل المدني التابعين لها، على مبدأ «وإن كانت الحقيقة بشعة، لا بد من أن نعرفها ونواجهها، فمن حقنا أن نعرف، ومن واجبنا أن نواجه» على حد تعبير الناشطة الحقوقية والمحامية «نورا غازي الصفدي»، زوجة الناشط «باسل الصفدي»، والذي استشهد تحت التعذيب في سجون النظام وتم إبلاغ عائلته مؤخراً.

ونشرت «الصفدي» على صفحتها الشخصية في فيس بوك توضيحاً لأهالي المعتقلين وكل المهتمين بشأن التطورات الأخيرة حول قوائم المعتقلين المتوفين، قالت فيه: «يرجى مراجعة دوائر النفوس والبحث في القوائم، ويفضل استخراج قيد مدني فردي للشخص المعتقل، في حال عدم وجود اسم المعتقل كمتوفي، يرجى مراجعة الشرطة العسكرية، وإن عدم وجود اسم المعتقل كمتوفي في النفوس والشرطة العسكرية لا يعني بالضرورة وللأسف أنه لا زال على قيد الحياة، حيث لا زال النظام يصدر القوائم تدريجياً، لذلك يرجى تكرار المراجعة كل فترة، كما أنه في حال تسلم الأهل شهادة وفاة سابقة من الشرطة العسكرية، فمن المحتمل جداً أن لا يرد الاسم في القوائم الحالية».

كما أوضحت الناشطة الحقوقية والمحامية التي أبدت استعدادها الدائم لتقديم أي مساعدة أو استشارة حول الموضوع، بأن هناك نوعين للمعلومات عن الوفاة، الأولى حالة من يقتل تحت التعذيب أو بسبب المرض، و يصدر فيها النظام شهادة وفاة له، ويطلب من الأهل القيام بإجراءات الوفاة، وتفرض غرامة مالية على الأهل في حال التأخر، بينما لا يقوم النظام بإصدار شهادات وفاة في حالة الإعدامات، ويكون هناك مراسلات سرية بين المحكمة الميدانية ودوائر النفوس تتضمن أمراً بتوفية الشخص الذي تم إعدامه، ويكون المعيار الوحيد للتفريق بين من ينفذ بحقه حكم إعدام وبين من يقتل بسبب التعذيب أو المرض هو الحصول على شهادة وفاة.

وكان رئيس الهيئة الوطنية السورية للدفاع عن المعتقلين «ياسر الفرحان» قد أكد في بيان نشر على مواقع التواصل الاجتماعي في ١٣ تموز الماضي، أن عمليات التصفية التي نفذها النظام السوري بحق المعتقلين، وأرسل قوائم بأسمائهم، تشكل جرائم حرب وإبادة وجرائم ضد الإنسانية، مطالباً الأمم المتحدة بفتح تحقيق بخصوص تلك العمليات التي وصفها بأنها «عار يلاحق العالم».

الشهداء تحت التعذيب.. خلجات موثق

ولاء محمد

ترى كيف استشهد؟، وكم من الضرب والتعذيب تعرض؟، هل صمد طويلاً أم فارق الحياة سريعاً؟، وكم من المعتقلين استشهدوا ولم يوثقوا؟، وكم عدد من ينتظر دوره منهم؟.

ترى هل أصيب بنوبة قلبية من شدة الخوف؟، أم بانخفاض في السكر أو الضغط من شدة الجوع والارهاق من الوقوف أو الشبح؟، هل توفي جراء صعقة كهربائية، أم جرعة زائدة من المخدرات التي أجبروه على إدمانها دون أن يكون له يد أو علم بها في البداية؟، ربما أصيب بنوبة صدرية حادة أو اختناق، ولم يجد من يفتح له «طاقة» للتنفس مساحتها بضعة سنتيمترات.

هل أحرقوه في سجن صيدنايا؟، أم فعلوا به كما فعلوا بحمزة الخطيب؟، أم بمرض الطاعون في الفرع ٢١٥ في الزنزانة رقم ٨؟، أم.. أم؟، هل دفنوه؟، وأين دُفن؟، في مقبرة جماعية؟، في مقابر الفرقة الثالثة في القطيفة؟، أم مقابر الفرع ٢٠١٥؟، ربما تركوه في الزنزانة بين زملائه حتى تفسخت جثته، أو تروه في ممرات الأفرع الأمنية كي يكون عبرة لغيره، أو رموه في العراء تنهشها الكلاب.

كيف ستتلقى عائلته الخبر؟، ربما تفقد الأمل بعودته، وقد تبقى تتعلق ببصيص تعتمد فيه على أحساس مخادع، أو تُمنّي نفسها، وترفض الاعتراف برحيله إلى الأبد، ربما تواصل زوجته أو والدته محادثتها له كل ليلة قبل النوم، وتسرد له تفاصيل يومها، بينما يدعو ابنه له بالسلامة والعودة سريعا كي يخرجا في نزهة معاً أو يمارسا رياضةً ما سويةً، وقد يندم والده أنه لم يزوجه ويرى أطفاله قبل اعتقاله، ويكون له نسل على شجرة العائلة، ويستمر ذكره بعد رحيله.

وهي.. هل ماتت أثناء ولادتها من سجّان لا تعرف من هو من بينهم؟، أم بسبب نزيف من تناوب السجانين على اغتصابها؟، ربما ماتت قهراً من ذلك الوضع.

أسئلة كثيرة تجول في ذهنك وأنت توثق أسماء الشهداء الذين قضوا تحت التعذيب في سجون ذلك الإرهابي، جميعها ناتجة عن مخزونك المتراكم من عملك في المجال الحقوقي، ولقاءاتك ببعض المعتقلين والمعتقلات الناجين من سجون النظام، والذين لا تنسى قصصهم وتفاصيل اعتقالهم ما حييت.

الكثيرون ممن نجوا من سجون الأسد قالوا بأنهم كانوا ينتظرون الموت على أحر من الجمر، ويفضلونه على البقاء ساعة على قيد الحياة في تلك الزنزانات وبين أيدي هؤلاء المجرمين، الذين أوجدت السجون أساساً لعقابهم لا ليصبحوا أمراءها وآمريها، الكثيرون ممن نجوا رأوا في الموت رحمة وخلاصاً لهم منها، فهل فعلاً استحق من استشهد تحت التعذيب تلك الرحمة؟، وهل هي حقاً كذلك؟، وكيف هي حال من ينتظرهم ويعدُّ الأيام والساعات وربما الدقائق لحين عودتهم له؟.

لا بد لك وأن تتخيل وأنت تسجل تلك الأسماء، لو أن النظام اعتقلك، ماذا كان سيفعل بك، ولا بد أن تتخيل كل حبيب لك أو قريب مكان هذا الشهيد، الذي لم تكن تعرف اسمه من قبل، وأصبح الآن يعني لك الكثير، والمؤكد أيضاً أن لك معتقلاً في سجون الأسد إن لم يكن معتقلين، فلكل سوري اليوم معتقل قريب.

تناقل الناجون من الاعتقال قصصا تبدو كأنها قصصا للرعب، عن مكان مظلم قاس يملؤه القيح والدم والإجرام، وجلادون لم يعد لهم ملامح بشرية، لهم وجوه جامدة، وعيون لا تضحك إلى حين ترى الموت أمامها، حتى بات الاعتقال هو الكابوس الذي يلاحق السوريين في نومهم، حتى بعد أن أصبحوا خارج حدود بلدهم.

واليوم، ومع ما جرى مؤخراً من صفقة إطلاق سراح ١٥٠٠ معتقلاً لقاء إجلاء أهالي الفوعة وكفريا، وبينما كان الكثيرون من ذوي المعتقلين يأملون بخروج أبنائهم، تنتظر أنت الممتلئ بالأسماء، أن ترى فرحة هؤلاء الأهالي المتعبين بلقاء أبنائهم، لكي تتبدل الصورة قليلاً لديك، إلا أنك بقليل من التفكير ستعود لحالتك الطبيعية سريعاً، لتفكر هل سيجد هؤلاء الخارجين عائلاتهم، وكم من الأسماء سيحملون معهم ممن قضوا في زنازينهم، فيما يبدد النظام عليك وعلى المنتظرين كل أمل، ويطلق سراح مئة ربما من المعتقلين القدامى، في حين تكون البقية ممن لم يمضِ على اعتقالهم سوى أشهر.

نعم.. هم أيضاً معتقلون، ولهم الحق بالعودة سريعاً لعائلاتهم، ولئلا يكونوا كسابقيهم، ولكن هل كُتب على المعتقلين القدامى أن يبقوا مدى الحياة؟، وإن كان المفرج عنهم لم يلتقوا بالمعتقلين القدامى نتيجة لحداثة سجنهم، وهو ما يتعمده النظام قبل كل صفقة، فكيف ستصل أنباء القدامى إلى ذويهم؟.

على الجهة المقابلة، كعادته في تهربه من المسؤولية عن جرائمه، واستمراراً بارتكابها بأشكال متعددة، ومحاولة منه لإغلاق ملف المعتقلين في سجونه، وبتخطيط وأمر من آمره الروسي، يسلم النظام أسماء آلاف المعتقلين لدوائر السجل المدني في محافظات عدة، قضوا تحت إجرامه وإرهابه، ليقوموا بالاتصال بذويهم وإبلاغهم بوفاة أبنائهم على أنها وفاة طبيعية.

لا تحزنوا يا إخوتي، لقد كنتم وقوداً، وأصبحتم أرقاماً، لا أحد يعلم عددكم، ولا أحد يعلم من منكم ما يزال على قيد الحياة ومن فارقها، يذكرونكم متى شاؤوا، ويتجاهلونكم متى شاؤوا، في بداية الأمر كنتم ذريعتهم في الاتفاقيات، التي أوهموا بها البعض أنهم وقعوها لأجلكم، كي تعودوا إلى منازلكم وعائلاتكم، وبات المتذاكي فيهم هو من يرفع الرقم أكثر.

وعلى الرغم من كشفهم لحقيقة الكذبة، أو مراوغة النظام ووسائله، ولا فرق بين الاثنتين، إلا أنهم استمروا بكذبتهم، وبقيتم ذريعتهم، وبقي أهلوكم والبعض من البسطاء منا، كالغريق الذي يتعلق بقشة، ويمضي على مضض مع هؤلاء المبرمين للاتفاقيات، أملاً بعودتكم.

أما اليوم وقد سُلّمت مناطق بلدكم، فقد انتهت كذبتهم، ونفذت اتفاقياتهم، ولم يعد لهم بكم أو بذكركم حاجة، وانتهى كل شيء وانتهيتم معه. شاهد الجميع صوركم، وآثار التعذيب على أجسادكم، وتسابق جلادوكم بالتفاخر والإمعان في تعذيبكم على مرأى الجميع، وبقيتم مجرد ملف يطرح، ولكنه غير قابل للنقاش أبداً، كما بقيتم مجرد لوحة تجمع كل يوم عدداً أكبر من الصور، تعرض بين حين وآخر في معرض أو ملتقى أو محفل، شاهد الجميع صوركم لكن لم تحرك ساكنا.

صانع الموزاييك ورابع شهداء العائلة.. أحمد سليم الخطيب

كان شاباً خلوقاً ولبقاً وحنوناً، محبوباً من قبل أهالي مدينته كفرنبل وكل البلدات القريبة، فهو اجتماعي بطبعه، ولديه الكثير من الأصدقاء والمعارف، لا سيما أنه يملك صالة للانترنت في المدينة.

طويل القامة، أسمر الوجه، أسود الشعر، بنيّ العينين، عريض المنكبين، جذّاباً وأنيقاً، ولعه بالموزاييك دفعه لترك تعليمه وافتتاح محل لصناعة لوحات الموزاييك.

كان من المفترض أن يكون الآن متزوجاً، فقد تقدم لخطبة فتاة قبل الثورة، ولكن اندلاع الثورة وإيمانه بها جعله يؤجل زواجه ريثما تنتصر الثورة، أملاً بأن تكون فرحته فرحتين.

شارك في الثورة منذ بدايتها إلى جانب أخيه، والذي كان عضواً في تنسيقية مدينتهم كفرنبل، وعند دخول الجيش إلى المدينة، قام بمداهمة منزل أخيه لإلقاء القبض عليه، لكن أخوه لم يكن موجوداً، ولسوء حظ أحمد كان هناك في ذاك الوقت، فاعتقله عناصر النظام ثم أحرقوا المنزل.

وبعد اعتقال أحمد سليم الخطيب، مع بعض شبان المدينة في ٢٦ كانون الأول عام ٢٠١١، تم اصطحابهم إلى معسكر المسطومة القريب من المدينة، وحاول أخوه عن طريق بعض معارفه أن يدفع مبلغاً مالياً للضباط في ذاك المعسكر من أجل إطلاق سراحه، ولكنه لم ينجح في ذلك، كما لم يسعفه الوقت.

كانت والدته قلقة وخائفة من فقدان أحمد، فقد سبق لها وخسرت أولادها الثلاثة شهداء على يد النظام في الثمانينات، وبالفعل حدث ما كانت تخشاه مع عائلتها.

استشهد أحمد سليم الخطيب بعد نحو شهر من اعتقاله، ففي ٢١ كانون الثاني عام ٢٠١٢، انتشرت صورة أحمد، ولكن بهيئة غير تلك التي يعرفه بها الجميع، فقد كانت عينه مقلوعة، وفمه لا أسنان فيه، ووجهه مشوهاً.

توجهت عائلته التي كان أحمد شهيدها الرابع على يد النظام وفي سجونه إلى مشفى إدلب، واستلمت جثمان أحمد، وتحولت جنازته إلى مظاهرة كبيرة شارك فيها كل أهالي المدينة، بهذه الكلمات بدأت ابنة أخ الشهيد أحمد سليم الخطيب، وبعينين ممتلئتين بالدموع، وكفين تقلبان صوره، وبحشرجةً تطغى على صوتها، التعريف عن أصغر أعمامها، والذي كان عماً وأخاً وصديقاً لها، إذ أنه لا يكبرها بالكثير من الأعوام، فهو من مواليد آب عام ١٩٨١، وقد حمل اسم أخيه الذي استشهد في الثمانينات في سجون تدمر.

فقدت عائلة الشهيد أحمد سليم الخطيب على يد الأسد الأب ٣ من أبنائها، لتفقد الرابع على يد الأسد الابن، إذ اعتقل النظام في الثمانينات شقيقيه الأكبرين، وبقيا في سجن تدمر خمسة عشر عاماً ثم استشهدا، وبعد سنوات قليلة قتل أخيه الثالث في لبنان على الجيش السوري أيضاً حين تلقى خبر استشهاد أخويه، فقام بتمزيق صورة حافظ الأسد، وقُتل على إثرها، ومن ثم جاء بشار الأسد ونظامه الحالي ليقتل أحمد، ويترك أمه وقد تحطمت كلياً.

ولا تزال والدة أحمد تحدث كل من تراه عن أولادها، وتسأل كل من حولها إن كان أحد منهم قد رأى أحمد في منامه وكيف رآه، وتمضي ليلها وهي تبكي في غرفته وتتحدث إليه، ونتيجةً لذلك ولكثرة الصدمات التي تلقتها، وفقدانها لأولادها الأربعة على يد النظام، باتت تعاني من مشاكل في التركيز، بحسب تعبير زوجة أخ الشهيد.

وما تزال عائلة أحمد تحتفظ بأشيائه حتى هذه اللحظة، فهي تحمل رائحته، نظارته وتلفازه وغيرها، وحتى من سافر من أفرادها حمل معه في سفره أحد أغراض أحمد، كما تستذكر عائلته كل نهار مع أطفالها حركات أحمد وكلماته ونكاته، وتحدثهم عن صفاته، وتريهم صوره.

توقفت ابنة أخ الشهيد أحمد عن الحديث غارقة في بكاء صامت، ولملمت صوره التي كانت تفترشها أمامها، في محاولةٍ منها أن تسجن دموعاً يبدو أنها لا تغادر خديها أبداً.

عبد المجيد شريف:
عدم التزام الفصائل وتركيا بمحاربة النصرة سيعطي ذريعة للروس

عبد المجيد شريف

في وضع صعب يمر به الأهالي في محافظة درعا على وقع القصف والإكراه على المصالحات من قبل الروسي، يعيش اخوانهم في محافظة إدلب وضعا قلقاً ومترقباً من احتمالات توجه قوات النظام وروسيا إليهم، عن العمل السياسي وأهميته، وعجزه عن تقديم أي شيء في الداخل السوري، وعن الموقف التركي والدولي في الخارج، وما يمكن للأهالي القيام به من خطوات احترازية، أجرينا الحوار التالي مع الناشط السياسي "عبد المجيد شريف" المشارك في نشاطات ربيع دمشق وإعلان دمشق، من مواليد ادلب – كفتين ١٩٥٢:

أجرى الحوار: رائد رزوق

– ما أهمية العمل السياسي في الداخل السوري برأيك؟ في ظل أداء مؤسسات المعارضة في الخارج؟

أعتقد أن أهم ما يمكن القيام به اليوم هو تجميع القوى المشتتة في الداخل، ومحاولة إيجاد الوجهة الصحيحة لتحركها وتحديد أهدافها بدقة، لقد مثلت المعارضة مؤسسات معروفة مجلس وطني، ائتلاف، هيئة تفاوض، ضمن حالة قطيعة مع الداخل تقريباً، ولا أبالغ إذا قلت إنها فشلت في تقديم أي شيء يفيد صمود الشعب السوري في وجه أعدائه الكثر، ناهيك عن الانتصار الذي ما كان يمكن أن تحققه لأسباب موضوعية على رأسها أنها ليست مختارة من قبل الثوار إنما من قبل دول، هي في الغالب لم تكن تهدف لانتصار ثورة الحرية والكرامة.

في البداية كان يجمع الشباب الثائر أمل إسقاط نظام مجرم مستبد طائفي، دون فكرة واضحة عن البديل، وأعتقد أن هذا كان أحد مقاتل الثورة، أعني ضياع وحدة الهدف، حيث تبين فيما بعد أن هؤلاء الشباب قد انقسموا إلى تيارين، أحدهما قوي جارف يريد نصرة الاسلام ومحاربة الكفار، والآخر يريد إسقاط نظام الاستبداد وإقامة نظام وطني عصري لكل السوريين، لم يكن هذا التناقض واضحاً في البداية، ولعبت مؤسسات المعارضة دوراً مهماً في التغطية عليه، ولكنه ومع الأيام تحول إلى صراع بين فريقين، غطى في كثير من الحالات على صراع كل منهما مع النظام.

أعتذر اذا كان في هذا الرأي الذي سأورده شيء من التعالي، ولكني أراه حقيقة، فقد تعمد النظام بالتعتيم والقمع الشديد تعميم الجهل السياسي في صفوف الشباب، لذا حين نهضوا لينتفضوا عليه لم يكن في أذهانهم فكرة واضحة عما يريدون، كان المحرك الأقوى هي عواطف ارتباطهم ببيئتهم ودفاعهم عن أهلهم، لذلك فما أن يدخل لهم مغامر انتهازي كلمة إسلام أو سنة أو شريعة في جملة، حتى يبصمها في قلوبهم وعقولهم ويأخذهم بها الى حيث يريد، وهكذا تم جر معظم الشباب إلى الفصائل الجهادية والتنظيمات الدينية، ولم يبق في الداخل للعمل الوطني مكان، حتى صرت تخاف من ذكر كلمة حرية أو ديموقراطية أو وحدة وطنية أو حقوق انسان، وهي الأعمدة التي نالت الثورة في البداية سمعتها الطيبة والدعم الدولي بسبب رفعها.

نعم لقد انتصر التطرف على ثورة الحرية فهان الأمر على النظام.

لقد لعبت وحشية النظام دوراً كبيراً في دفع الشباب بهذا الاتجاه، وهكذا حين تم إخراج النظام من أكثر من نصف سوريا أخرج معه كل الأقليات القومية والدينية والمذهبية وحتى السنية التي لا تشترك مع هذه الفئات التي سادت في الفكر والموقف، وقد اعتبر العالم عكس ما كنا نراه نحن حيث كنا نسمي هذه المناطق محررة وكان يعتبرها بؤرة إرهاب وتوجهت الجهود الدولية ضدنا بسبب ذلك.

وأؤكد على ما سبق بالقول إن كل ما يقال عن مؤامرة دولية ضد ثورتنا وشعبنا أعتبره تبريراً للفشل الذي جرنا اليه هذا النهج، لذا فإن تنظيماً سياسياً قوياً في الداخل يحمل راية الوطن ويعمل على نشر الوعي في صفوف الشباب بعد دراسة التجربة المرة، كفيل بأن يعيد توحيد القوى في وجه النظام المستبد ويعزله تمهيداً لإسقاطه، خاصة وأن هذا النظام قد ارتكب جرائم حرب كثيرة وكبيرة، وأن معظم أركانه مطلوبون إلى محاكم في دول شتى، ويمكن أن يصير هذا الضغط دولياً.

– كيف ترى أداء التجمعات السياسية الحالية في محافظة إدلب؟

لا يوجد تجمعات سياسية في الشمال قامت على أساس هدف محدد واضح، كلها تعلن أنها وجدت من أجل انتصار الثورة السورية، ولكن لم تطرح أي منها خطة لتحقيق ذلك، ولم تستطع أي منها استقطاب الشارع الثوري السوري، أو لفت الانتباه إلى خطر، وجر الناس الى موقف أغلبي لدرئه أو على الأقل للتصدي له، وأقول بصراحة هي في الغالب تجمعات من أشخاص يبحثون عن دور مميز لهم، ويحاولون لفت انتباه الدول الأخرى وعلى الأخص الاتحاد الاوروبي وتركيا، حيث عند الأول شيء يقدمه، وعند الآخر إمكانية تعويم أو عزل من يريد في المنطقة، ولكن جل ما تقدمه هذه التجمعات هو إصدار بيانات مذيلة بتوقيعها.

نعم لقد انتصر التطرف على ثورة الحرية فهان الأمر على النظام.

– ما هي المعوقات التي تمنع من تطور العمل السياسي في الداخل السوري؟

بكل أسف لم يعد ممكناً الحديث عن داخل سورية بالمجمل، لقد أصبح مجموعة مناطق، كل منها لها ظروفها ومشاكلها ومتطلباتها، وبالتالي فان هدف العمل السياسي الآني هو حل هذه المشاكل وتحقيق هذه المتطلبات، ولا يمكن دفع الناس إلى خطط استراتيجية تحمل هم الوطن وتحقق وحدته واستقراره، وهم يعانون في بيئتهم من مشاكل قد لا تتركهم يصلون إلى ذلك الوقت، فهم تحت خطر القتل والتهجير وسلب الأموال، ومع ذلك فإذا لم نقتنع بضرورة الوحدة الوطنية والخلاص من نظام القمع والاستبداد لا يمكن بناء تنظيم سياسي وطني شامل.

لقد فشلت الأحزاب التقليدية وانتهت بما فيها حزب السلطة، وأعتقد أن شعبنا يجب أن يقتنع بفشل الأحزاب الدينية، وعدم قدرتها على توحيد البلد والشعب ورأب الصدوع الكبرى التي حدثت في مجتمعاتنا، ويبقى علينا إقناع الناس بإمكانياتها في تحقيق إرادتها، وبوجوب أن تأخذ دورها وتنضم للعمل السياسي السلمي المنظم والهادف دون انتظار مكاسب شخصية على النهج الذي ربانا عليه النظام واتبعته الفئات التي حلت محله.

– كيف يمكن تجاوز الضعف الحالي بدور التجمعات السياسية برأيك؟

كل النخب ذات النهج الوطني تطرح تقريباً نفس الأفكار، وتنظم تجمعات متماثلة وبأهداف متشابهة، وتتبع تقريباً نفس طرق العمل، بحيث إذا أخذت أدبيات لأحدها ونزعت اسم التجمع عنها وأعطيتها لآخر، ربما لا يكتشف الأمر مريدو هذا الآخر، فإذا كان بينها هذا التشابه فلماذا تتعدد هذه التجمعات؟

الحقيقة إن تجمعات كهذه ليست سوى دكاكين شخصية، ولكي يكون لنا تجمع وازن قادر على كسب ثقة المواطن ومنحه الحماس للعمل فيه يجب أن يتشكل من القاعدة إلى القمة وليس العكس.

أتصور مبدئياً نخبة من الوطنيين المثقفين المقتنعين بالفكرة، تضع أسساً لمثل هذا التجمع وتطرحه على وسائل التواصل الاجتماعي، وتضم الذين يقبلون الفكر المطروح بشكل عام والالتزام به، تجمعهم في صفحات وغرف وتس وغيرها من وسائل التواصل، ولا أعتقد أن الأمر يحتاج لاجتماعات فيزيائية، ولا سفر ولا مصاريف، وبالتالي لا حاجة لدول داعمة تملي، ويتعهد الذين ينظمون هذه الأمور بعدم الترشح لأي منصب قيادي في الدورة الأولى على الأقل، ثم يتم انتخاب قيادة من هذه المجموعات، بحيث يشعر كل واحد في هذا التجمع أنه مساهم في تشكيله، وهذه القيادة المنتخبة تضع أدبيات وخطط عمل التجمع، هذا تصور مبدئي قابل للتعديل أو الإبدال بآخر أفضل، ولكن المهم تنظيم وطني يعيد وحدة المجتمع السوري المهشمة.

إن تجمعاً كهذا جدير بأن يحل محل مؤسسات المعارضة المنهارة ويجبر العالم على الأخذ برأيه.

– ماهي قراءتك لمستقبل المحافظة على ضوء أحداث درعا؟ لم تعلن حتى اليوم مقررات مؤتمر أستانة، ولكن النتائج التي تأتي تباعا توضح هذه المقررات، لقد تعهدت الفصائل على ما يبدو بتصفية ما يعتبره العالم إرهاباً، وهي داعش والقاعدة والفصائل التي تنهج نهجها، وأعتقد أن فشل الفصائل في تنفيذ ما التزمت به في اتفاقيات وقف التصعيد، ساهم في تخلي العالم عن الضغط على روسيا لإبقائها.

إن محاربة الإرهاب يتم وفق قرارات مجلس الأمن المتخذة بعد تدمير برج التجارة العالمي عام ٢٠٠١، وهذا أصبح بمثابة قانون دولي لم ندرك أبعاده حين قبلنا الفصائل المصنفة إرهاباً في صفوف ثورتنا، وحتى الائتلاف دافع عنها، وهذا كان سبب تحول الموقف الدولي وليس تآمراً مع إيران ولا خوفاً على إسرائيل، وأظن أنه في اتفاقيات وقف التصعيد تعهدت الفصائل غير المصنفة بإنهاء المصنفة ولكنها فشلت.

وبالنسبة لدرعا فقد ظهر الآن أن اتفاق خفض التصعيد كانت مدته عام واحد، تعهدت بموجبه الفصائل بالتوحد وتسليم معبر نصيب شراكة مع النظام وانهاء داعش (جيش خالد) وسبع نقاط أخرى، فشلت الفصائل في تحقيق ما يخصها، واستغل الروس ذلك كذريعة، مما جعل الأمريكان يتخلون عن ضمان الاتفاق.

اتفاق خفض التصعيد في إدلب ضمنته تركيا عن المعارضة، وواضح بأنها تعهدت بإنهاء فصائل معينة مصنفة ارهاباً، وواضح أيضاً أن تركيا مع هذه الفصائل حاولت القيام بمناورات للالتفاف على هذا التعهد، فمن جبهة النصرة إلى جبهة فتح الشام إلى هيئة تحرير الشام وإعلان التخلي عن بيعة القاعدة، ولكن أمريكا في الآونة الأخيرة ردت رداً قاطعاً بأنها تعتبر هيئة تحرير الشام هي القاعدة ومع كل من انضوى تحت لوائها.

إن تجمعاً كهذا جدير بأن يحل محل مؤسسات المعارضة المنهارة ويجبر العالم على الأخذ برأيه.

وأعتقد أن العالم بشرقه وغربه لن يقبل بأقل من تفكيك هذه الفصائل وإخراج عناصرها الأجانب من سوريا، وكذلك العناصر المطلوبة دولياً، ولن تستطيع تركيا مواجهة الإرادة الدولية، فأصبح وضعنا مرتبط كلياً بالقرار التركي، فإما تنفيذ الإرادة الدولية وعندئذٍ لن يسمح للنظام والروس بمهاجمة إدلب، وتبقى المنطقة تحت الإدارة التركية حتى انتخابات ٢٠٢١ المتفق عليها دولياً، أو كما أشيع من قبل يترك لتركيا الشريط الذي عرضه ٣٠ كم وتحصر هذه الفصائل بين السكة والأوتوستراد، وتصفى من قبل الروس والنظام، أو تفشل تركيا في التعامل مع هذه الفصائل، وعندئذٍ سيكون مصيرنا كمصير درعا.

"الكيك بوكسينغ" أو ملاكمة الرفس.. رياضات عدة في لعبة واحدة

الكيك بوكسينغ أو ملاكمة الرفس كما هي ترجمتها الحرفية إلى اللغة العربية، ليس هناك تاريخ أو بلد منشأ للعبة متفق عليه، والراجح أن الولايات المتحدة هي بلد المنشأ أو اليابان، ويرجع تاريخ ظهورها إلى بداية السبعينيات، في حين نظمت أول بطولة عالمية لها في الصين عام ١٩٩١، وساهم استخدام الكيك بوكسينغ في أفلام "الأكشن" من قبل نجوم السينما، ولا سيما الممثل البلجيكي "جون كلاود فان دام"، الذي ارتبط اسمه باللعبة بشكل كبير، في انتشار اللعبة والتعرف عليها في الأوساط الشعبية.

تيسير المحمد

وتعتبر رياضة الكيك بوكسينغ من الرياضات الحديثة بالمقارنة مع باقي الرياضات الأخرى مثل "الكاراتيه، الكونغ فو، الجودو"، والتي بقيت تدرب وتدرس بطرق كلاسيكية منذ نشأتها دون أن يتم تطويرها بشكل مناسب مع مرور الزمن.

ومع ثورة الحداثة التي اجتاحت العالم كان لابد من وجود رياضة تتماشى مع تلك الحداثة، فكانت رياضة "الكيك بوكسينغ" التي تجمع بين أكثر من لعبة في آن واحد بطريقة فنية وغير مؤذية بسبب قوانين اللعبة الصارمة، من خلال حصرها بحركات معينة بكيفية محددة، فيسمح بالضرب فوق الحزام فقط، ويمنع ضرب الخصم من الخلف، وتستخدم وسائل حماية للرأس والفك والمناطق الحساسة والصدر بالنسبة للنساء، ويلبس اللاعبين قفازات مطاطية في اليدين، كما يمنع استخدام القوة المفرطة في إيذاء الخصم، فهي رياضة نبيلة بالنظر إلى قوانينها الصارمة وطريقة اللعب الصحيح وعدم ضرب الخصم بشكل عبثي وعشوائي.

ويجب أن يستخدم اللاعب اليدين والرجلين في المباريات ولا يقتصر على إحداهما، إذ يستعمل اللاعب رجليه لتوجيه الركلات لخصمه، والتي تقسم إلى ٩ أنواع من الركلات، يمكن أداء جميعها بالقفز.

وتعتمد هذه الركلات في تسميتها على اللغة الإنكليزية، وهي: الركلة الجانبية "الساید كيك"، الركلة الخلفية "الباك ساید كيك"، الركلة العمودية "اكس كيك"، الركلة الأمامية "الفرونت كيك"، الركل الدائري "سبينينك كيك"، الركلة الكنس "فوت سويب"، الركلة بالكعب الأمامي "هيل فرونت كيك"، الركلة الخاطفة "الراوند كيك"، الركلات بالقفز.

في حين تقسم اللكمات التي يوجهها اللاعب بيديه إلى ٣ أنواع، هي اللكمة المستقيمة "ستريت جاب"، لكمة الخطف "هوك جاب"، لكمة القلع "ابير كات".

وتجري المبارزات على حلبة مربعة تشبه حلبة الملاكمة (٦ متر* ٦ متر)، وذلك ضمن ثلاث جولات، زمن كل جولة منها دقيقتين تتخللها دقيقة استراحة بين جولة وأخرى، وتحتسب النقاط حسب الضربات التي يسددها اللاعب إلى الخصم بشكل صحيح بثلاث نقاط عند إصابة الوجه، ونقطة واحدة للإصابة على الصدر أو البطن، وذلك من قبل حكمين مراقبين يتواجدان خارج الحلبة، بينما يتواجد داخلها بالإضافة للاعبين حكم لإدارة المبارزة، وأما الحكم الرابع فمهمته هي تحديد زمن الجولات، عبر إعلان بدايتها ونهايتها، واللاعب الفائز هو من يسجل أكبر عدد من النقاط، أو من يتمكن من إقصاء الخصم بالضربة القاضية.

وعلى عكس الرياضات القتالية الأخرى، لا يوجد في رياضة الكيك بوكسينغ رتب وأحزمة، إلا أن بعض الاتحادات الرياضية في دول معينة، ومنها سوريا ولبنان والعراق، وضعت لهذه الرياضة أحزمة ودرجات على غرار الجودو والكاراتيه.

حضور عربي.. وأسماء سورية

لم تكد تمضي بضع سنوات على ظهور رياضة الكيك بوكسينغ حتى دخلت اتحاد الألعاب الرياضية العربية، حيث تأسس أول اتحاد عربي في لبنان في عام ١٩٧٧، ومن ثم أضيفت بشكل رسمي ضمن منافسات الألعاب الرياضية لديها، وذلك في دورة الألعاب الرياضية العربية التي أقيمت في الأردن عام ١٩٩٩، أي بعد ٨ سنوات من إقامة أول بطولة عالمية للكيك بوكسينغ.

ويعتبر لبنان البلد الأول عربياً في رياضة الكيك بوكسينغ، يليه المغرب وسوريا والعراق وفقاً لبعض التصنيفات، وقد استطاع العديد من اللاعبين العرب وضع بصمتهم في تاريخ اللعبة، إذ نال الكثير منهم مراكز متقدمة منذ بداية اعتماد اللعبة في العالم العربي وحتى اللحظة.

فعلى صعيد سوريا، فازت اللاعبة "عزة عطورة" بلقب بطولة أوروبا عام ١٩٩٩، وبطولة العالم وبطولة أندية العالم في اليونان عام ٢٠٠٠، بينما حصد اللاعب "حيدرة ورد" الميدالية الذهبية في بطولة العالم المقامة في إيطاليا عام ٢٠١٧، والذي سبق له أن حصل على الكثير من البطولات في أوروبا وآسيا، بالإضافة إلى بطولة البحر الأبيض المتوسط في إيطاليا عام ٢٠٠٩، كما حصل اللاعب "علاء الدين الشيخ نايف" على الميدالية الذهبية في بطولة إسطنبول عام ٢٠١٧، وكان قد فاز سابقاً ببطولتين عالميتين، وأربع بطولات عربية.

ويبقى لرياضة الكيك بوكسينغ خصوصيتها وشغفها لدى عشاقها والمهتمين بها، فهي رياضة راقية مواكبة للتطور، وتكسب اللاعب العديد من المهارات وتعمل على التركيز على ردود الفعل، والتنسيق بين حركات الجسم خاصة اليدين والرجلين، ولابد للاعب أن يكون أو يتعلم من خلالها المرونة والسرعة والقوة ورد الفعل السريع وقدرة التحمل العالية.

أراء حول تفضيل الشباب للعسكرة على العمل السياسي

في منتصف آذار عام ٢٠١١، اندلعت الثورة السورية بأغصان الزيتون والمظاهرات السلمية، والتي كانت على مستوى عال من التنسيق والتنظيم في كافة أنحاء سوريا، لتتحول بعد عدة أشهر إلى ثورة مسلحة، فحمل عدد كبير من الشبان السوريين السلاح للدفاع عن مناطقهم وأهلهم في وجه قوات النظام، على الرغم من إيمانهم بسلمية الثورة، إلا أن الواقع فرض عليهم حماية مدنهم وبلداتهم.

وبدأت أعداد الشبان الحاملين للسلاح تتزايد شيئاً فشيئاً مع ارتفاع مستوى العنف من قبل قوات النظام، لتتقلص المظاهرات ويتراجع العمل السياسي مقابل العمل العسكري.

الأسباب

وعن أسباب انكفاء الشباب وقلة المشاركة بأي عمل سياسي، تحدث عضو مكتب إدلب في حركة نداء سوريا "عبد الناصر بحرو" لزيتون قائلاً: "لهذه الظاهرة عدة أسباب منها التصحر السياسي الذي كان سائداً أيام النظام، وتأثيره الضئيل على الثقافة السياسية، أما بالنسبة للمرحلة الراهنة، فيعود إلى كثرة الخيبات والصدمات من الكتل السياسية، التي لم تستطع حتى الآن رغم تعددها أن تلبي ولو جزءاً بسيطاً من أحلام وطموح الشباب، الذي طالما كان يتوق للحرية".

وأضاف "بحرو": "عدم فاعلية أي نشاط سياسي على الأرض، أدى إلى ضعف إقبال الشباب وانكفائهم عن المشاركة بأي عمل سياسي، إضافة إلى الأوضاع الراهنة واستمرار المعارك والقصف وعدم توفر الأمان، الذي جعل الجميع يبتعد عن العمل السياسي، لعدم توفر الظروف المناسبة له".

وقال رئيس دائرة أريحا في الهيئة السياسية في محافظة إدلب "عبد العزيز عجينة" لزيتون: "ظن الكثير من الشباب أن الكلمة الفصل للعسكرة، وأنه لا جدوى من العمل السياسي، فالكثير منهم لا يدركون أهمية الدور السياسي في نضال الشعوب بالقدر الكافي الذي يجعلهم ينخرطون ويتفاعلون بشكل أكبر وأكثر جدية مع التجمعات السياسية".

بينما رأى رئيس التجمع الثوري بمدينة إدلب سابقاً وعضو تجمع أبناء إدلب حالياً "ياسر الياسين" أن سبب تفضيل الشباب للعمل العسكري على العمل السياسي هو حرمان أغلب الشباب وانقطاعهم عن التعليم في الجيل الذي نشأ مع سنوات الثورة، ما جعلهم بدون تعليم أو عمل، الأمر الذي دفعهم للانخراط في العمل العسكري والمسلح، إضافة لراتب المقاتل ولو كان بسيطاً ولكن الشباب يعتبرونه دخلاً ثابتاً.

ومن جانبه رأى عضو مجلس الإدارة في البيت الإدلبي سابقاً وعضو تحالف قوى الثورة في إدلب حالياً "عبد الرحمن نجار" أن السبب في تفضيل الشباب العمل العسكري على السياسي هو إبعادهم عن العمل السياسي، وسطوة مفهوم النخبة في التجمعات السياسية، مضيفاً: "عندما لا يستطيع الشاب إيجاد الفرصة لتحقيق أهدافه من خلال المشاركة في العمل السياسي سيلتفت بلا شك إلى العمل العسكري الذي يعد اليوم أقوى على الأرض، ويأمل الشباب أن يحققوا أهدافهم من خلاله".

بينما قال رئيس حركة نداء سورية "سامي الخليل" إن الحالة في الداخل أفرزت بعض الشباب الذين لا يملكون التجربة السياسية ولا الفكر و العمق السياسي، وأن ضعف التجمعات السياسية في الداخل وعدم امتلاكها لحرية الكلمة، أثر على العمل السياسي إلى حد جعله شبه معدوم.

المسابح في إدلب.. ملاذ من الحر ومتنفس للشباب

ربيع رزاز

دفعت درجات الحرارة المرتفعة مع انقطاع الكهرباء بمئات الشباب إلى التوجه نحو المسابح الصيفية المنتشرة بكثرة حالياً في مناطق ريف إدلب، بعد أن حرمتهم الحرب من البحر، بحكم أن المناطق الساحلية تحت سيطرة قوات النظام، فكان من الضروري إيجاد البدائل، والتي عوضتهم عما فقدوه وأصبحت متنفساً لهم.

ونتيجة لذلك شهدت إدلب توجه الكثيرين للاستثمار في المسابح الخاصة وخصوصا بعد تراجع الكثير من المهن والأعمال، وتتفاوت تكاليف إنشاء المسابح بين منطقة وأخرى، ويرجع هذا التفاوت بالدرجة الأولى إلى سعر الأراضي في كل منطقة، والتجهيزات الخاصة التي يقوم صاحب المسبح بتوفيرها.

يقول "عادل المحمد" أحد أصحاب المسابح في مدينة سراقب لزيتون: "تم افتتاح المسبح في الشهر السادس من هذا العام، وبلغت تكلفة إنشائه بحدود ٩٠ ألف دولار، والمردود أقل من المتوقع ولا يتناسب مع التكلفة".

بينما يقول "محمد مغلاج" صاحب مسبح الجبل في كفروما لزيتون: "تبلغ كلفة إنشاء المسبح مع كامل تجهيزاته ما بين ٣٠ إلى ٣٥ ألف دولار".

وفي مدينة إدلب تتروح تكلفة إنشاء المسبح بين ٥٠ و ٥٥ ألف دولار، وتختلف باختلاف المنطقة، فلكل منطقة سعر، وتكون عائدات المسبح جيدة إذا تمت إدارته بشكل جيد، بحسب "أسعد عفارة" أحد أصحاب مسبح قصر اللوتس في المدينة.

نظافة المسابح

يتفق أصحاب المسابح التي التقت معهم زيتون على الكلفة العالية لاستبدال مياه المسابح، مما جعلهم يلجأون إلى فلترة المياه وتعقيمها كحل مناسب لتخفيض التكاليف، وذلك على الرغم من اتفاقهم أيضاً على أن فلترة المياه ونظافة المسبح هي إحدى أكبر الصعوبات التي تواجه القائمين على المسابح، إلا أنهم اختلفوا في المدة التي يقوم بها كل مسبح بعملية الفلترة.

إذ يقول "المحمد": "نقوم بتنظيف المسبح يومياً من الساعة ٨ حتى ١١ صباحاً، ونقوم بإضافة المواد المعقمة للحد من انتشار الأمراض، وبسبب التكلفة العالية لا نقوم بتغيير المياه وإنما فلترتها ١٢ ساعة، أي مرتين يومياً، في حين نواجه صعوبة لعدم التزام الشبان بارتداء ملابس السباحة، وعدم تقبلهم لأجهزة الفلترة، والمحافظة على نظافة المسبح والمعدات الموجودة في الحمامات والمشالح".

في حين يقوم مسبح الجبل في نهاية كل فترة سباحة، والبالغة ٤- ٥ ساعات بعملية فلترة المياه لضمان سباحة صحية وآمنة، على حد تعبير صاحب المسبح، والذي أكد أنهم يواجهون صعوبة في الفلترة، والتي تعد أمراً ضرورياً للمياه، وذلك نتيجةً لعدم التقيد باللباس الخاص بالسباحة، وارتداء ملابس قطنية من قبل البعض، وهذه الملابس تتسبب بتعطيل محركات المسبح في بعض الأحيان.

بينما يوضح "عفارة" أن معظم المسابح لا تقوم بتغيير المياه وإنما فلترتها، وأنهم في مسبح قصر اللوتس يلجأون في تعقيم مياه المسبح لاستخدام أقراص الكلور وقليلاً من روح الملح ومواد التعقيم.

من جانبه نوه أحد المهندسين الكيميائيين إلى أن التعقيم بمادة الكلور يسبب الكثير من المشاكل الصحية والأمراض بالنسبة لمرتادي المسابح، خاصة وأن كميات الكلور التي يضعها أصحاب المسابح تكون بشكل عشوائي ودون معرفة بمقدار احتياج المسبح الذي تحدده سعة المسبح وعمقه، مما قد يكون سبباً في الكثير من الأمراض الجلدية.

وهو ما يؤكده "محمد العلي" أحد الشبان المرتادين للمسابح بريف إدلب بقوله: "عادةً تكون نظافة المسابح جيدة، ولكن في أيام الجمعة تسود الفوضى نظراً للازدحام الكبير"، مضيفاً: "لم ألاحظ أي إصابات بأمراض جلدية بسبب مياه المسابح، ولم يشكو أصدقائي من أي مرض جلدي، ولكنني أصبت بإلتهاب قصبات حاد جراء وجود كمية مركزة من الكلور في أحد المسابح".

بينما اشتكى الشاب "مجد سليمان" من تحسس في العين، نتيجة إضافة الكلور لمياه المسابح لتعقيمها، مبيناً أن نظافة المسابح في ريف إدلب جيدة.

ومن المعروف أن مادة الكلور تستخدم في كافة أنحاء العالم لتعقيم مياه المسابح، إلا أن انتشار المسابح حديثاً في ريف إدلب، وبعد سنوات من توقفها، وعدم وجود خبرة كافية ربما بالنسب اللازمة لها تأثيرها المحدود حتى الآن.

مخيمات الشمال حلم البقاء وخشية المجهول

خاص زيتون

بخيام مؤقتة، تؤوي الفارين من صواريخ النظام، ريثما يدحر الثوار هذا النظام، أو توقفه الدول عن استهداف المدنيين العزل، بدأت القصة، كان لسان حالهم يقول "أيام أو شهر أو اثنين ثم نعود إلى منازلنا"، ولكن خابت توقعاتهم، وطال مسلسل معاناتهم، وهم ينتظرون السيناريو الذي رسمته تلك الدول، والإخراج.

المؤلفون والمخرجون لمسلسل المعاناة السوري، لا يكترثون سوى لمصالحهم، وجمع خيرات البلدان، وتجميل وجوه المجرمين تارةً، والتغني التراجيدي على الشعوب المسحوقة وجموع الأطفال الباكين على تلال التشرد والنزوح تارةً أخرى.

على هضاب وتلال "أطمة" و"قاح " و"حارم" و"سلقين" وغيرها من مناطق الشمال، انتثرت مئات المخيمات للنازحين، لجأوا إلى خيام بسيطة لا تقي حر الصيف ولا برد الشتاء، على مدى سنوات الحرب، حتى صارت مجتمعات جديدة بنسيج مختلط تأقلم فيه الإنسان مع الوجع.

يقول "عبد الله المرزوق" أحد سكان مخيم "الميدان" في تلال قاح لزيتون: "لم أكن أعتقد أن تصبح هذه التلة الصغيرة بلدي الجديد، قبل ٤ سنوات لجأت إليها لحماية عائلتي من قصف الطائرات لريف إدلب الجنوبي، وكنت أعتقد حينها أنها ستكون فترةً مؤقتة وقصيرة ومن ثم سأعود إلى قريتي وامتدت السنون بنا هنا"، مضيفاً: "هنا صار لي موطن ثاني، وطبيعة عيش جديدة، هو اغتراب في الوطن نفسه، لكني سعيد وأحمد الله، وأتمنى أن لا يُغدر بالشمال من جديد".

جمعت هذه المخيمات سوريين من مناطق سورية مختلفة، فصار الحي الواحد يختصر مناطق سورية وأهلها، يجمعهم الفرح والحزن والمعاناة ذاتها، ويتشاركون كل ظروف المعيشة معاً، حتى اعتادوا طبيعة جديدة من الحياة، تكاد تنسيهم حياتهم الأولى من باب التعايش والتأقلم.

"ثائر المصطفى" أحد سكان مخيم "زهرة الجولان" وابن مدينة حلب، تحدث لزيتون عن هذا النسيج الاجتماعي بقوله: "نعيش هنا معا ضمن مساحات ضيقة، فأصبح لنا جيران جدد، وأبناء حي جدد، ومن الطبيعي أن يتعارف الجيران من أبناء المخيم، إذ لم يعد الأمر هنا حلبي وحموي وإدلبي، بل أبناء المخيم، هكذا أصبح لنا مجتمعات جديدة، نعيش فيها ذات التفاصيل، أفرح لفرح جاري الحموي، ويحزن جاري الحلبي معي".

قواطع

تقسم المخيمات إلى قواطع، تنتشر في التلال على الأطراف الشمالية للمحافظة، والقريبة من الحدود التركية، متخذة أسماء تميزها في حين يضم كل منها عشرات المخيمات.

مدير مخيم "زهرة الجولان" السابق "يحيى النمر" أوضح لزيتون واقع التقسيم الإداري، بقوله: "تنتشر القواطع على ثمان مناطق من شمال إدلب، حيث تضم كل منطقة قاطعاً أو أكثر، وكل قاطع يضم عددا من المخيمات، وتختلف فيما بينها بحسب عدد العائلات، إذ يبلغ عدد العائلات في أصغر مخيم ٥٠ عائلة، بينما يصل عددها إلى ٥٠٠ عائلة في أكبر مخيم".

وأضاف "النمر": "تبدأ القواطع من جهة الشرق من منطقة دير حسان، وتمتد باتجاه كفر لوسين، ثم قاح، وتحتوي كل من هذه المناطق على قاطع واحد، لتصل إلى "أطمة" والتي تضم ٥ قواطع، ومن ثم دير بلوط، وفيها قاطع واحد، وإلى الجنوب الغربي قاطع "سرمدا" في منطقة سرمدا، ثم منطقتي حارم وسلقين وفي كل منهما قاطع واحد".

هذه التقسمية الإدارية تخص المخيمات المنظّمة إدارياً، لكن إلى جانبها تتواجد عشرات المخيمات الصغيرة والعشوائية، وتنتشر بكثرة في بلدات وقرى إدلب، وتقل كثافة انتشارها كلما اتجهنا جنوباً.

الناقد الجزائري يوسف دهمس يكتب عن رواية «الضغينة والهوى»

أحمد فرج

كتب الناقد الجزائري يوسف دهمس ملاحظاته وتعليقاته حول رواية «الضغينة والهوى، للكاتب السوري فواز حداد جاء فيها:

• في رواية «الضغينة والهوى» للكاتب السوري فواز حداد، يتلاعب السارد بالقارئ، فحين يعتقد القارئ أنه بصدد قراءة رواية من نوع التقرير الصحفي، حول قضية النفط في سوريا، ويقدم له السارد الموضوع من جميع جوانبه، فإن الكاتب فواز حداد يقول للقارئ: - قف! إنه عندي مشاهد باذخة الجمال، حافلة باللغة لن تجدها عند كاتب آخر، غيري.لغة تطاوع كاتبها، منصاعة بين يديه، تفاجئ القارئ، إن هذا الكاتب يمتلك المعلومة واللغة معا. أمر نادر الحدوث عند الكثير من الكتاب، الذين إما يغرقون في تهويم اللغة، أو يقدمون تقريرا صحفيا في شكل رواية وتعوزهم اللغة.

• في رواية «الضغينة والهوى» للكاتب «فواز حداد» يورد في سرده مقاطعا كتبها بالأسود الداكن، حتى تتميز عن بقية النص، مخاطبا فيها سعاد، بضمير المخاطب.السؤال: هل كان السارد يوجه رسائلا مشفرة للقارئة سعاد، وإن غير اسمها، أن هذا ما يريد قوله لها. في ذهن أغلب الكتاب شخوص حقيقيون، يتمنون لو يقرأون نصوصهم، ولهذا يتركون لهم إشارات في النص.

• في ذهن كل كاتب عربي، كولونيل.منذ أن كتب «غابرييل غارسيا ماركيز» رائعته «مائة عام من العزلة»، وفي ذهن أغلب الكتاب العرب «كولونيل»، تأسيا بالكاتب الكولومبي، الذي قدم شخصية« الكولونيل بونديا» من العدم، وذلك من خلال مشاركتها في الثورة، وهي رتبة تحصلت عليها لكفاحها الثوري. إذا كان الأدباء في أمريكا اللاتينية قد أرخوا لتفكك الجزء الجنوبي من القارة الأمريكية عن طريق الثورات الشعبية، وحصول كل حركة ثورية على حرية منطقتها، وبالتالي حازت على حدود سياسية، فإن أغلب ما كتبه العرب تقليدا للواقعية السحرية. الكولونيل أو العقيد في النص العربي، يرتبط بذلك الشخص الذي حاز بفضل رتبته العسكرية على أراضي واسعة وسلطة إقطاعية. الكولونيل في النص الجزائري يرتبط في غالبيته بالكولونيل بوخروبة المنقلب على الرئيس بن بلة، إنه ذلك الكولونيل الشعبوي، المضاد للاشتراكية، حتى أن أمين الزاوي في روايته قبل الحب بقليل. يذكر أن سياسة الكولونيل بوخروبة قطعت أشجار الكروم التي كانت تنتج خمرا، وعوضت بحقول القمح. قبل سنتين قرأت لكاتب شاب نصا تحاشى فيه قدر الإمكان ذكر العقيد بن شريف، حيث جاء ذكره عابرا في النص، ولم أفهم من السارد خوفه من سلطة العقيد المتقاعد أم إنه حبا فيه يذكره بخير.الكاتب السوري فواز حداد في رواية «الضغينة والهوى» يتعامل بشكل مخالف مع رتبتين عسكريتين مهمتين، وذلك باحترافية، وصيغة مختلفة عن أدب أمريكا اللاتينية، ويشذ عن قاعدة الكتاب العرب، لكل كاتب كولونيل في ذهنه، إنه يتعامل مع الرتبتين من حيث مسؤوليتيهما في الدولة. اللواء في «الضغينة والهوى» هو قائد الجيش الذي يتعامل بحنكة مع ملفي الأسلحة والنفط. وأما العقيد رئيس الأركان فهو ذلك العسكري الذي يتعامل بحذر مع قائده، وعينه على منصب قائد للجيش. السارد قدم لنا اللواء والعقيد على حقيقتيهما في النص، بحيث لا يختلف ذكرهما عن الواقع. وهي رؤية من زاوية قريبة، وشاملة. مثل «الضغينة والهوى» نصوص قليلة في المتن السردي العربي، التي تقدم الواقع في دواليب السلطة ودهاليزها، دون استعمال خطاب شعبوي، أو فئوي. «فواز حداد» هو ذلك الكاتب الذي يقدم للقارئ الحقيقة، والقضية، من جميع جوانبها، وعلى ألسن عدة شخوص: ممثل الشركة الأمريكية / ممثل الاستخبارات الأمريكية / رئيس الوزراء السوري / العامل في الوزارة / عالم الآثار / السفير / الكولونيل / اللواء / التاجر... الخ وعلى القارئ أن يستخلص لنفسه ماذا يريد قوله الكاتب.

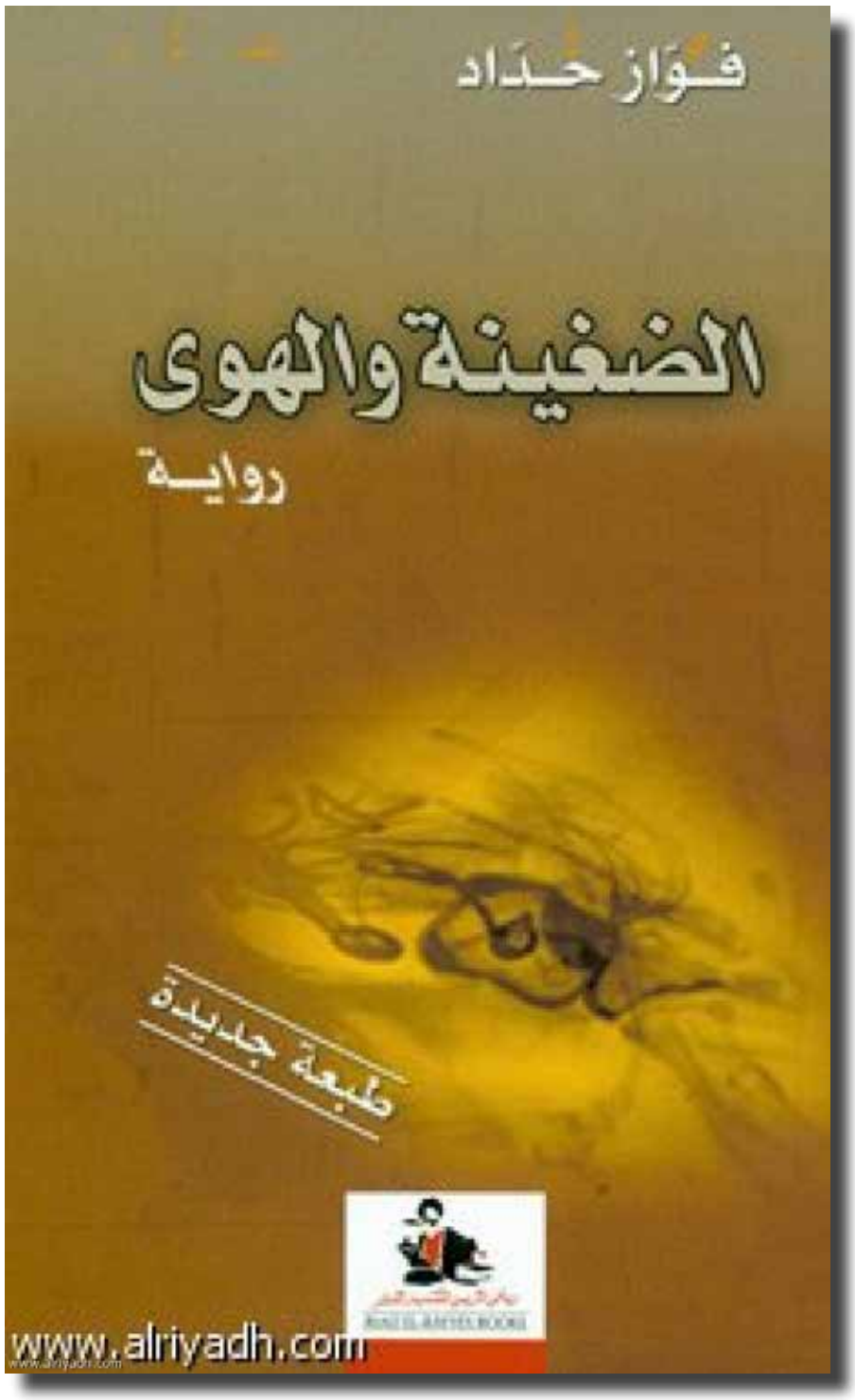

كما علق موقع أبجد على الرواية ناشرا:

يكشف الكاتب «فواز حداد» في هذه الرواية «الضغينة والهوى» عن حقائق هامة وقعت في أوائل الخمسينيات من القرن الحالي لم يكتبها في حينها، لأن الظروف كانت حالكة وغير مواتية، ولأن الصورة لم تكن واضحة، أما الآن حان الوقت بصورة أخرى كانت غائبة عنه، وباتت واضحة أكثر، نسقها الكاتب «فواز حداد» بقدر كبير من التزامن والتسلسل وأدرجها كما هي بلا مراعاة إلى جوار الصورة التي عرفها وقتئذٍ، فقد شارك في جانب من تلك الأحداث فأراد أن لا يحجب عنا حقيقة ما كان يحدث في كواليس الحكومات والسفارات والفنادق.. والتاريخ أيضاً، فاقتطف للقارئ جزءاً معبراً عن هؤلاء الشخصيات وأدوارهم التي لعبوها فاكتفى بذكر ألقابهم الوظيفية الرسمية، بطلب أو من دون طلب منهم. وآخرين بأسمائهم الحقيقية، لأنهم أعلنوا عنها صراحة.

ومنهم «وليم أوستن» المسؤول السابق في وكالة المخابرات الأميركية في لبنان والتي كانت سورية إحدى مهماته فيتعرض الكتاب للأحداث التي وقعت بين دمشق وبيروت في ذلك الوقت،

الثاني: هو «جاك ساندرز» مبعوث شركة التنقيب عن البترول ومستشار لمجموعة شركات متعددة الجنسيات، الثالث: هو «أونوريه دولمونت» السكرتير الأول للسفارة الفرنسية في بيروت، ولاحقاً أحد المسؤولين في الخارجية عن المصالح الفرنسية في البلاد العربية. يقسم الكاتب الرواية إلى ثلاثة محطات جاءت على النحو التالي: القسم الأول: دمشق – بيروت. القسم الثاني: دمشق – بيروت، الأراضي المقدسة. القسم الثالث: شاطئ على البحر الأبيض المتوسط.

من القسم الثاني من الكتاب نقتطف مقطعاً يُعبر به الكاتب عن وحشية الصهاينة في فلسطين العروبة يقول: «اختاروا من الأسرى عشرين رجلاً، لم يعودوا بهم إلى القرية، اقتادوهم إلى محجر يقع بين قريتهم دير ياسين ومستوطنة غفعت شاؤول، أوقفوهم إلى حائط المحجر، وأطلقوا عليهم الرصاص، قتلوهم جميعاً، الأبطال، أبطال شتيرن والأرغون، أبطال معركة دير ياسين يلوحون بإشارة النصر».

رواية ممتعة، بأحداثها وتفاصيلها، حقيقية في وقائعها، تكشف فصولاً من سيطرة الدول الكبرى على مقدرات الدول والشعوب المستضعفة، يتغير اللاعبون، تتغير الأسماء، ولكن اللعبة لا تتغير، والهدف أيضاً.

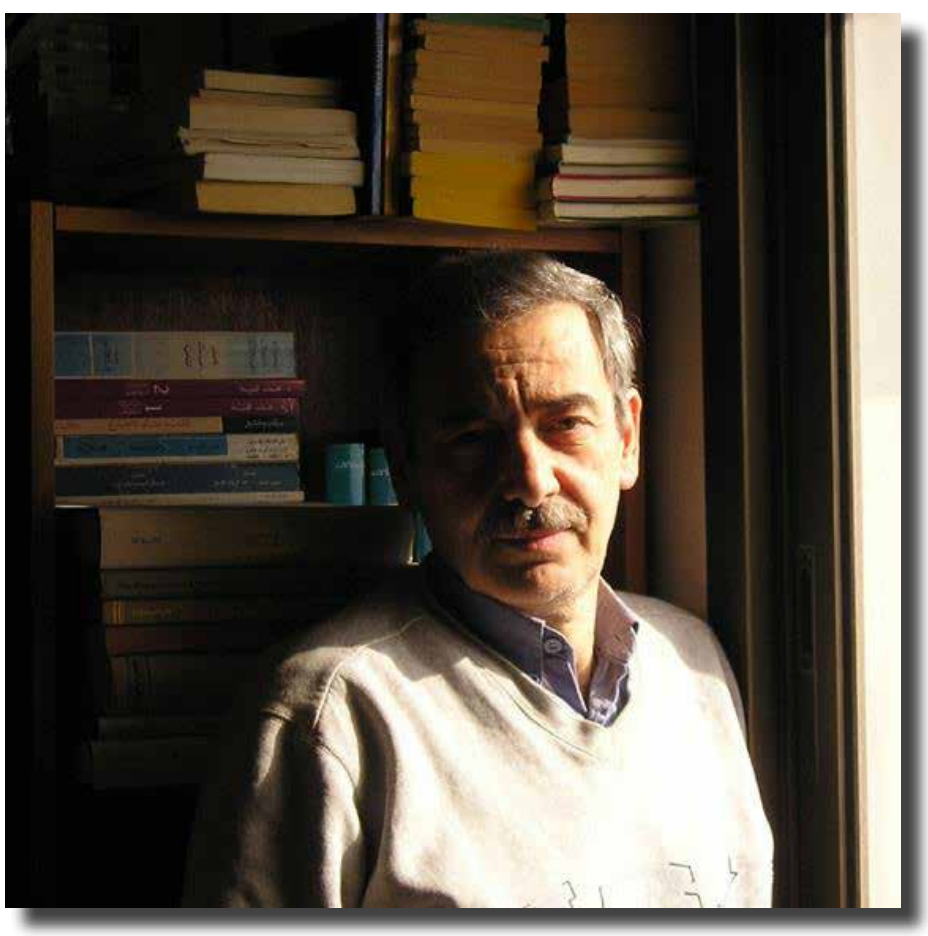

كل هذه المكارم وما زلتم تريدون إسقاط النظام؟!

وعد البلخي

إذا كنت جندياً روسياً قتل على أرض سوريا، فسيتم منح أبنائك «قطة»، وإذا كنت جندياً في صفوف قوات النظام، قتل على يد «المجموعات الإرهـايـة» كما يسميها النظام، فسيكون أمام عائلتك خيارات كثيرة «رأســي ماعز، ٥٠٠ ليرة سورية وبعض مـواد التنظيف، بطانية، ساعة حائط، أرز وبرغل، علب متة أو فول أو بسكويت»، ولكن الخيار لن يكون بيدها، فالأوامر والمراسيم الصادرة عن سيادته هي من تحدد ثمنك.

إذا كنت جندياً أو شبيحاً ما تزال على قيد الحياة ووتواجد على حواجزه، فربما يقايض عليك ببضعة رؤوس من الأغنام، أما إذا كنت من قرية جرجيسة ريف حماة فبمكرمة من سيادته ستحصل على «ناموسية»، ولكن بشرط أن تكون ممن لديه كرت غاز.

أصـدرت بلدية قرية جرجيسة قبل أيـام، إعلاناً جاء فيه: بمكرمة من السيد الرئيس بشار حافظ الأسد سيتم توزيع ناموسيات على أهالي قرية جرجيسة الكرام وفق الآتي: على أصحاب أرقـام كرت الغاز من الرقم /١/ إلى الرقم /٨٠٠/ فقط لا غير الـحـضـور إلــى مقر بلدية جرجيسة مع اصطحاب دفاتر العائلة (صاحب العلاقة شخصياً) يوم الأحد فـي ٢٠١٨/٧/٢٢ م، وأصـحـاب الأرقـام من /٨٠٠/ إلـى /١٦٠٠/ الـقـدوم إلـى البلدية يـوم الاثنين في ٢٠١٨/٧/٢٣ م، يرجى التقيد الأرقام».

وأثار الإعلان سخرية السوريين على مختلف فئاتهم، وانتشر الإعـلان على مواقع التواصل الاجتماعي ومجموعات اللاجئين والمجموعات الإخبارية، وعلّق لاجئون سوريون في أوروبا على محتوى الإعلان كلّ بطريقته، فمنهم من تهكم مبدياً ندمه على مغادرته سوريا وخسارته لهذه المكرمة القيّمة من «ثيادته»، داعياً أصدقاءه للعودة إلى حضن الوطن قبل فوات الأوان ونفاذ كمية الناموسيات.

وتساءل آخرون: «ما في مربى؟»، «ما في ماعز؟»، «شو قياس الناموسيات بعد إذنـكـن؟»، «يـا تـرى منلاقي حجز هلأ؟؟»، بينما استذكر غيرهم الممثل الموالي للنظام المعروف بـدور «النمس»، والـذي كان صهر بشار الجعفري ممثل النظام لدى مجلس الأمن، فيما سخر البعض من عبارة «صاحب العلاقة شخصياً»، وكـأن المنحة باهظة الثمن، أو أن العبارة تدل على حرصهم البالغ على حقوق المواطنين، بينما هم في الواقع من يسلبون المواطن كافة حقوقه وأملاكه.
ورد البعض على الـدعـوة للعود لحضن الوطن والفوز بالناموسية بالقول: «لا تحجزوا عالفاضي إذا ما معكن كرت غاز، وإذا معكن عيشوا بهالنعمة وهالمكرمة من ثيادتو، كرت غاز وناموثية ولثا بدكن إثقاط النظام؟؟».

وكـان نظام الأسـد قـد أصـدر في تشرين الثاني ٢٠١٣، قراراً يقضي بتوزيع رأسي ماعز لكل عائلة من عائلات قتلاه، وفي أيار عام ٢٠١٦، منح ساعة حائط لكل عائلة، وفي كانون الثاني من العام الجاري، قام محافظ الحسكة بتوزيع مبلغ ٥٠٠ ليرة سورية لأطفال القتلى إضافة لبعض المنظفات لأسرهم، كما أمر في مناسبات مختلفة خلال الأعوام الماضية بتوزيع بطانيات، أو مؤن وما إلى ذلك مما لا تتجاوز قيمته بضعة آلاف، هذا إن وصلت لآلاف، وذلك تقديراً وامتناناً منه بتضحياتهم العظيمة، على حدّ تعبيره.

وكـان الإعـلامـي الـسـوري «فيصل القاسم» قد علق في تغريدة سابقة له على ما يقوم به نظام الأسد من تكريم لأسر قتلاه بقوله:
«شر البلية ما يُضحك: ساعة في الساحل ورأس ماعز في السويداء ثمناً لأرواح الشهداء، ضباط في بحرية نظام الأسد يزورون عائلات بعض قتلاهم ويقدمون لهم ساعة حائط عربون وفاء من البحرية لروح القتيل».

وعلى الرغم من أن كل تكريم من قبل النظام قد قوبل بـردود فعل غاضبة من قبل مؤيديه، وساخرة من قبل معارضيه، إلا أنه ما يزال حتى اليوم مـاضٍ بهذه الطقوس، ولكن الجديد هوَ ما اتضح للجميع بأن الجندي الروسي ليس أغلى ثمناً بالنسبة للنظام من جنوده وشبيحته.

إذ نشرت حكومة النظام في ٢٧ تموز الماضي، صوراً لأسماء الأسد زوجة رأس النظام، وهي تهدي قطة اسكتلندية لابنة الجندي الروسي «مـارات آخميتشن» الـذي قتل في سورية، وذلك خلال لقائها وزوجها بمجموعة من أسر القتلى الروس في سورية.
وواصـل السوريون تهكمهم على إنسانية الأسـد وزوجـتـه ونظامه المزعومة، وقـارنـوا ثمن الجندي الـروسـي بنظيره الـسـوري، إذ أن القطة أغلى ثمناً من رأسي الماعز وغيرها من هداياه، مطالبين العقلاء بالتمعن بالانتهاكات التي يرتكبها ضد الشعب السوري المدني الأعزل، وبتضحيته بالجنود السوريين والأراضـي السورية وخيرات البلد، بالإضافة للنظر إلى ذلك العرفان والامتنان والتكريم المزعوم، وثمن قـتـلاه ومـؤيـدوه عـنـده مـن كافة الجنسيات، ليبقى السؤال الأبرز: «لثا بدكن إثقاط النظام؟!».